# نقد علمي
# لكتاب التوحيد
## بحوث في مراتبه ومقتضياته

(مجموعة محاضرات)

ألقاها سماحة الشيخ الدكتور

عبد الكريم الخضير (دام ظله)

نقش فيها كتاب التوحيد

السيد كمال الحيدري


كتبها

أحمد مصطفى يعقوب



الكويت

الطبعة الأولى

٢٠١١م



www.oqaili.com

# نَقْد علميّ
# لكتاب التَّوحيد
## بُحوثٌ في مَراتبهِ ومُعْطياتِه

(مجموعة محاضرات)

ألقاها سماحة الشَّيخ الدكتور

**عبدالكريم العُقيلي (دام ظلّه)**

ناقش فيها كتابَ التوحيد

**للسّيد كمـال الحيـدريّ**


كتبها

أحمد مصطفى يعقوب



الكويت

الطبعـة الأولـى

٢٠١١م

# هوية الكتاب

- اسم الكتاب: نَقْد علميّ لِكتاب التوحيد بُحوثٌ في مَراتبهِ ومُعطياتِه
- (مجموعة محاضرات)
ألقاها سماحة الشيخ الدكتور / عبدالكريم العُقيلي (دام ظلّه)
ناقش فيها كتاب التوحيد للسّيد كمال الحيدريّ.
- اسم الكاتب: أحمد مصطفى يعقوب.
- سنة الطبع: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م
- البريد الإلكتروني: www.oqaili.com
E-mail: shaik-aloqail@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (الرعد:٤٣)

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (يس: ١٢).

الشّيخ الصّفار بسنده عن محمّد بن سليم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

«أَمَا إنّه ليس عند أحد علمٌ ولا حقٌّ ولا فُتيا إلاّ شيء أُخذ عن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام وعنّا أهل البيت عليهم السلام، وما من قضاء يُقضى به بحقّ وثواب إلاّ بدء ذلك ومفتاحه وسببه وعلمُه من عليّ ومنّا، فإذا اختلف عليهم أمرهم قاسوا وعملوا بالرأي وكان الخطأ من قبلهم إذا قاسوا، وكان الصواب إذا تبعوا الآثار من قبل علي عليه السلام».

(بصائر الدرجات/ ٦٧٤).

هذه الكلية الموجبة صادقة على كلّ شيء وفيء، من العرش إلى الفرش ممّا كان أو يكون، من علم ظاهر أو مكنون، كلّ ذلك قد نَزلَ من تلك العين الصّافية التي يَنْحدرُ عنها السَّيْل ولا يَرْقى إليها الطيرُ فافهم السرَّ وما حوى.

بسم الله الرحمن الرحيم

# كلمة المُعِـــدّ

الحمدُللّه ربّ العالمين، والصّلاةُ والسّلامُ على أشرف الخلْقِ أجمعين سـيِّدِ الكائناتِ أبي القاسـم محمّدٍ وآلهِ الطيّبـين الطّاهرين، واللعنُ الدائمُ على أعدائِهم إلى قيامِ يومِ الدين.

إلتقيتُ فـي حياتي بالعديدِ من رجالِ الديـنِ وأهْلِ العلم، وقد مرَّ عليَّ الكثير منهم مرور الكرام، ودرستُ عند عددٍ من المشايخ والعلماء واسـتمعت لهم جميعاً بإمعان باحثاً عن الحقيقةِ وأسـرارِ أهْلِ البيت العِظام عليهم السلام، حتّى التقيتُ قبل سنواتٍ قليلةٍ بسماحة الشيخ عبدالكـريم العُقيلي دام ظلّه، فوجدتُ عنده ضالّتي فهو قويُّ العقيدة ومتبحّـرٌ في روايات أهلِ بيتِ العصمةِ صلواتُ اللّه وسـلامُه عليهم، فكان ومازال أُسـتاذاً عالِماً ووالداً حَنُوناً، ولسـماحتهِ حتّى كتابةِ هذه السـطور أكثر من ٥٠٠ درس في التوحيد الخالص الذي تَخصَّص به، مضافاً إلى العشـرات من المؤلّفاتِ والمحاضـراتِ والإفاداتِ ومجلسِ المذكرات في دارهِ وغيرها من المواطن، وقد قدَّم لي سـماحتهُ قرصاً فيه محاضرات ناقش فيها كتابَ التوحيد للسـيّد كمال الحيدري، كما قدَّم لي نسـخةً من الكتاب وفيه هوامش وقصاصات أرفقها سماحتهُ

بعملِه لسماحته للمراجعة، ومِنْ ثَمَّ ارتئينا طباعتها تعميماً للفائدة، وتخليصاً لشيعة أهل البيت عليهم السلام من رَبقَةِ الخَلْطِ في المقامات، واللبسِ في الصفاتِ، وبيان الرأي السّديد طبقاً لما رُوي عن أركانِ التوحيدِ أئمّةِ الهُدى ومصابيحِ الدُّجَى عليهم السلام، هذا وصلّى اللّه على سيِّدنا محمّد وآلِه الطيِّبين الطّاهرين.

**أحمد مصطفى يعقوب**

للتواصل Tanwerq8@hotmail. com

للتواصل عبر برنامج تويتر @bomariam111

# نبذة عن الشيخ

## الدكتور عبدالكريم العُقيلي

وُلِـد في عام ١٩٥٩م في جنوب العراق ويسـكنُ حالياً في الكويت، وكان مجاهـداً يُجاهد النظامَ البعثيَّ منذ صباه إلى أنِ اضْطُر للهجرةِ إلـى إيران، ودرس عند عددٍ من العلمـاءِ والمراجعِ الدروسَ الحوزوية وله إجازات من بعض مراجع الدين وأسـاتذة الحوزة العلمية، وكذلك وكالات من البعض الآخر - راجع السـيرة الذاتية لسماحته في كتاب التوحيد الخالص[1]- ولسماحته عدّةُ إصداراتٍ منها:

١- رسالة الأسرار المكنونة في معنى طه ويس.

٢- رسالة مختصرة في المراد من الشاهد والشهيد.

٣- رسـالة هامَّة فـي إثبات ضـرورة وجود المعصوم فـي كل زمان ومكان.

---

(١) كتـاب هامٌّ فريد في موضوعه، يتناول حقيقة التوحيد الخالص والمقامات الحقّة للأسـماء الحسـنى، وهو -أساساً- دراسـات منهجية على كتاب التوحيد للشيخ الصدوق رحمه الله، دامت أكثر من سبع سنين، وتصل إلى عشرة مجلّدات طُبع منها المجلّد الأول، وسيصدر المجلد الثاني إن شـاء الله قريباً، وهو من تأليف سماحة الشيخ عبدالكريم العقيلي، لذا ينبغي على

الشّريف).

٥- القول الوجيز فيما أُفيد من وقوع الطلاق المعلق.

٦- رسالة وجيزة في المراد من البصمة الوراثية وحُكمِها في الشريعة المقدَّسة.

٧- رسالة في جريان قاعدة البراءة في الأحكام الوضعية.

٨- دراسات في الكافي الشَّريف.

٩- دراسات في تفسير وتأويل القرآن.

١٠- دروس في شرح الزِّيارة الجامعة الكبيرة.

١١- شرح دعاء البهاء.

١٢- ظُلامات فاطمة الزهراء عليها السلام (موجود على شبكة الانترنت).

١٣- أبحاث في سرّ الخطاب في الكتاب من الكتاب (موجود على شبكة الانترنت).

١٤- بيان المعنى في الثّقل الأصغر الأسمى (موجود على شبكة الانترنت).

١٥- التّوحيدُ الخالِصُ الجَلِي ونسْفُ قواعدِ الشّرك الخفي ج١.

١٦- الإجتهاد والتقليد، دراسات فقهية ضمن سلسلة في أبحاث الفقه

١٧- سِـرّ الوصول إلى عِلم الأصول- الجزء الأول- مطبوع وسيليه الجزء الثاني.

والكثيـر من الإصدارات التي لـم نذكرها لعـدم الإطالة، ومازال مجلسه المبارك مفتوحاً لجميع المتعطّشين لعلوم آل محمّد صلوات اللّه وسـلامه عليهم طوال الأسبوع، وقد خَصَّصَ سـماحته أياماً لدراسة الفقه، وأياماً لدراسة التوحيد، وأخرى لدراسة موسوعة بحار الأنوار، هذا بالإضافة إلى كثيرٍ من البحوث والدراسات التي تتخلّل هذه الأيام والساعات، ويستعدُّ سـماحته حالياً لاستقبال الجزء الثاني من كتاب التوحيد الخالص الجلي، كما يستعدّ سماحته لاستقبال شهر رمضان المبارك وفي كلّ عام بإذن اللّه، حيث يكون مجلسـه ليلياً يحتوي على دروس في قراءات في بحار الأنوار، ودراسات فقهية، وتدبّر في السور القرآنية، بعد تلاوتها من قبل طلاب درسه والمشاركين فيه، والذين هم من أبناء دولة الكويت ومن أصحاب الشـهادات والدراسات الأكاديمية العُليا.

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدّمة سماحة الشّيخ

# الدكتور عبدالكريم العُقيلي

الحمدُللّه حمداً بلا عدّ، وإثباتاً بلا حدّ، حمداً لا يبلُغُ مدحتَه القائلون، ولا يُحصي نَعماءَه العادّون، ولا يُؤدّي حقَّه المجتهدون. والصلواتُ الزاكياتُ على أسرار المقامات، وأصْلِ الكلماتِ التّامّات، التي مَن ذاق مِن شجرتها رقى، وتحت ظلّها الظليل سَمَى، محمّدٍ المصطفى وآلِهِ حقائقِ مقامٍ أو أدنى، واللعنةُ الدائمةُ على مَن غوى وأغوى، في غياهبِ الجهل والهوى، ومَن منع إبليس الغويّ عن الهدى، وعن صفوف الملائكة في السجود نهى، متعزّزاً بخلْقِه النّار، مُستوهِناً خلْقَ الفِخار.

وبَعْدُ:

فقد اعتمدَ جُلُّ النَّاسِ على ما دوَّن الرجالُ وكفى، وعوَّلوا على ما تَوَهَّمتِ العُقول والحِجى، ومالوا عن شرعة أُولي النُّهى، وكهفِ الورى، وورثةِ الأنبياء، والمَثَلِ الأعلى، والدعوةِ الحسنى، فوقع مَن وقع في خبْطِ وشِماس، وأخذوا شرائعَهم وعَقائدَهم بالقياس، ولو عَلِموا أنَّ إبليسَ وقبيلَه أوَّلُ مَن قاس، لاستعاذوا بربّ النّاس، وتحصّنوا بمدينة

المدوّنة في بســاتين الأخبار وحدائق الأبــرار، وتقبّلهم حقيقةَ مَن رام وراء مــا هناك - أي المقامات- فقد هَلَــك، بل ومَن فكّر في ذات اللّه في طِخيةٍ عمياء قد سَــلَك. لذا فقد انثالوا على مولاهم الحقّ من كلّ جانــب، وتبرّؤا فيما يتقوّله بالتوهّــم الأجانب. وبين هذا وذاك تجولُ الأفكار وتَحومُ الآراء على ما يُقال ويُنشر، وفي أوساط الملأ من الناس يُنثر. رأيتُ كتابَ التوحيد للسـيّد كمال الحيــدري حفظه اللّه مقرّراً أبحــاث ما فيه أحد تلامذته ومتابعيه، فوجدتُ فيه تناقضاً بيّناً تارةً، واضطرابــاً في بيانه تارةً أُخرى، وخلْطاً صريحاً بين الصفات والذات وفــي عدد الصفات الذاتية مــرّة ثالثة. فقد صرَّح- كما ســترى في مطاوي البحث- إنَّ مشــهور الفلاســفة كان يرى أنَّ الصفاتِ الذاتيةَ سبعُ صفات التي هي عين الذات.

ثمَّ بيّن رأي الســيّد الطباطبائي في نفيه صفتين من الصفات، وهما الإرادة والــكلام في مقام الــذات، **فأصبحتْ** خمسَ صفــات، ثمَّ رأى العلّامة ضــمّ اثنين منها إلى الصفات الأخرى **فأضحت** ثلاثَ صفات. وهنا بدا للسّــيد الحيدري ضــمَّ اثنين من الثلاث إلــى صفة واحدة، **فأمست** كلُّها مُنضَمَّةً في صفة «الحياة».

فجاسوا -كما ترى أيّها القارئُ الحبيب- خلال ديار الذات، مع أنَّها لا اسمَ ولا رسمَ ولا صفةَ ولا نعتَ ولا زمانَ ولا مكانَ ولا كيفَ ولا فيمَ

فهل يُعقل هذا؟ وما عساني أن أقول في خضمّ صُوَر التّوهّم وفِكَر التحكّم، وليت شعري إلى أيّ إسنادٍ استندوا، وعلى أيّ عمادٍ اعتمدوا، فنَسَبُوا وحَذَفوا أو ضَمّوا، وما الدليل على تجويز ذلك وتسويغ العدّ في صفات ذاته، وليس المقام يحتمل ذلك إلاّ الإثبات ونفي الحدّ والعدّ، كما أشار مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام: «**ليس لصفته حدٌّ محدود، ولا نعتٌ موجود، ولا وقتٌ معدود، ولا أجلٌ ممدود**».

وتلاه الإمام الهُمام جعفر الصادق عليه السلام: «**لم أحدّه ولكنّي أُثْبته**».

وأخيراً فقد عرفتَ مِن مطاوي ما قدّمته، وما سيأتي في متون ما نقدّمه عظيمَ الكلام وجسيمَ البيان، الذي أخذ بجرانه مساحاتٍ واسعةً من عقول الناس، فغزا حقل العلم، وسطا على الفهم، وما بين يديك أيُّها العزيز، هو دراسةٌ لتلك الآراء والأنظار، قام بإخراجها مِن ميدان الخطابة إلى ساحة الكتابة، قُرَّة عينِنا تلميذُنا البارّ والمدافع عن مقامات الأطهار والذابّ عن حرم الأئمة الأخيار الأخ النبيل أحمد مصطفى دام مجدُه ولطفُه ونفعَ اللّهُ به الناس. وآخِرُ دعوانا أنِ الحمدللّه ربّ العالمين، وصلّى اللّه على النبيّ الأعظم وآلِهِ الاسم الأتمّ عدَدَ ما في علمِه ودوامِ مُلْكِه.

٥ شعبان المعظم مولد الأنوار وسادة الأبرار سيد الشهداء والإمام زين العابدين وقمر الأقمار

المحاضرة
الأولى

■ تتضمَّنُ المطالبَ التالية:

- تنويه وتنوير.
- مناقشة أنّ الوحدة الحقّة الحقيقية عين الذات.
- التناقض البيّن في نفي معرفة كُنْهِ الذات، وفي وصفها والحديث عنها.
- نظرية السّيد الطباطبائي في تفسير الميزان في تنزيه الذات عن الاسم والصفات.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدللّه والصّلاة والسّلام على أشرف خلْقِ اللّه محمّدٍ وآلِه آلِ اللّه.

■ **تنويه وتنوير:**

قبلَ عرضِ المناقشةِ في عبائرِ ما ورد في كتابِ التوحيد، وقبلَ الوقوفِ أمامَ أهمّ مطالبِ الكتاب، نُشير إلى أنَّ دأبَ الحوزاتِ قائمٌ على مناقشة الأنظار والآراء، وهذا يُعدُّ قِمَّةَ الحريّة العلميّة والفكريّة، وهو دأبُ العلماء وديدنُ الباحثين في السياحة والنظر في الأبحاث المختلفة والمطالب المتنوعة، والذي يوجب في المآل إلى إذْكاءِ الفكرة وترسيخ النظرة، وفْقاً للدليل الأقرب المستند إلى العقل والنقل والبرهان والوجدان للوصول إلى المنشود، وقد قدَّمنا هذه المقدمةَ لكي لا تُتّخذَ هذه المناقشة ذريعةً من قِبَل البعضِ للتّعارض والإختلاف، إنما جُلّ ما نريده هو الوصول إلى الحقّ والصواب من الرأي في خضمّ بحر التوحيد الزَّخار، وإنَّنا لنُكِنُّ كامل الاحترام للسيّد المحقّق حفظه اللّه، فيما يقومُ به في مقام الدفاع عن الأئمّةِ الأطهار صلوات اللّه وسلامُه عليهم، إلاَّ أنَّ ذلك لا يعني أنَّ كلّ ما كتَبَه أو قرّره في بحوثه ودروسه وكتبه تامَّاً من كلّ الجهات، ومسلّماً من كلّ الحيثات، وهذا ما لا يَقولُ به فاضلٌ فضلاً عن عالم، فتفهَّم القول.

الكتاب مؤلَّف في موضوع التوحيد، وسوف نقوم بتسجيل الملاحظات

تقرير كلماته في التوحيد، ولا ندّعي فيما سجّلنا أو أوردنا من المناقشات كمالاً وتماماً، بل نَدَعُ الأمرَ لأُولي الإنصاف للحكم على ما قال وما يُقال، طبقاً للعقل السليم والنَّقل عن المعصومين عليهم السلام أجمعين.

فنقول: وباللّه المتعال المستعان.

ورد في المجلد الأول[1] ص٥١: تحت عنوان معنى الوحدة، قال: للعرفاء تقسيم للوحدة أيضاً، حيث قسّموها إلى وحدة عددية ووحدة غير عددية، بعبارة أدقّ إلى وحدة عددية، ووحدة حقّة حقيقية، فهي «حقّة» باعتبار أنَّ للحقيقة أقساماً، وليس المراد أنْ يُوصفَ اللّهُ سبحانه بأيّ واحدة من تلك الأقسام، **بل المراد أنْ يُوصَفَ بالوحدة الحقّة الحقيقية التي هي عين الذات لا أنها صفة زائدة عن الذات**، فالصفة -في حال وصف اللّه بالوحدة- ليست شيئاً زائداً على الموصوف بل هي عين الموصوف (انتهى كلامه).

وعلى ما نقله - سواء كان متبنيّاً له أو كان في مقام **النَقل فحسب- فإنّه تصريح** بأنَّ الوحدة الحقَّةَ الحقيقية عين الذات، **وهو غير معقول وغير مقبول**، سواء ما فهمه العرفاء أو ما أراد السيّد أن يقوله، وذلك بملاحظة ما سجّلناه هنا بما يلي:

---

(١) التوحيد بحوث في مراتبه ومعطياته، بقلم جواد علي كسار تقريراً لأبحاث السيد كمال

مشـــخَّص في واقع الأمر؟ الحقّ المطابق للواقع، هو أنَّ الوحدةَ مفهومٌ انتزاعيٌّ تُنتَزَع من الشيء الذي لا يكون في مورده ثان، تأمّلِ المَثَلَ الذي نَضربُـــه لك هنا، وهو أنَّه لو كنت في صحراء ولم يكن معك شـــخصٌ آخر، فإنّه يُقالُ لك والحالـــة هذه أنّك «واحد» وهذا بلحاظ كونِك لم يكـــن معك آخر، فالأوَّليةُ والآخريَّةُ صفتان إضافيتان، فإنّه باعتبار أنَّ أيَّ شـــيء يُضاف إلى مَن بعده أو إلى مَـــن قبله فيقال الأول- الآخر، فالوحدة ليست من الذاتيات، فلو كانت الوحدة عين ذاته لتركّب ضرورةً من الذات والوحدة، كما أنّه يُنْقضُ على ما ذُكر كما ســـيأتي وتحديداً في ص١٢٥ حيث ذَكَر عن المشهور، أنَّ الصفات الذاتية سبع، ثمَّ قال: إنَّ العلاّمـــة الطباطبائي جعلها خمســـاً أي ردَّ صفتي الإرادة والكلام المنســـوبتين إلى ذاته، لأنَّ المشهور عند الفلاسفة أنَّ صفات ذاته هي: الحياة- العلم- القدرة- السمع- البصر- الإرادة- الكلام.

ثم قال السَّيد، إنَّ العلاّمة في نهاية الحكمة، ص٣٠٧، قال بالتحليل العقلي ندمج صفة الســـمع والبصر في العلم، فلا يبقى ســـوى الحياة والقدرة والعلم، فانتهى إلى ثلاث صفات بعد دمج السمع والبصر في العلم.

- فعلى هـــذا كيف تكون الوحدة عين الذات؟ فأين هذه الصفة من الصفـــات التي عددتها في الصفحة المذكـــورة. فلِمَ لم تذكرها هناك؟ فكيف صارت هنا عين الـــذات وعندما نأتي للصفات التي عددتها لا

رواها العَلَمان الصّدوق والكليني قُدِّسَ سِـرُّهما في الكافي والتوحيد في أبواب حدوث الأسماء، والجدير بالذكر هنا، أنَّ السيّد لم يتعرّض لهذه الروايات في هذا المقام خصوصاً رواية هشـام الصحيحة سنداً، فالوحدة من المقامات الإسـمية الملحوظة، حتّى أنَّ السيّد الطباطبائي ذكـر في الميزان أنَّ الواحد الصمد والإله والرحيم والرحمن أسـماء، لقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ وقوله تعالى ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾. وإليك نصّ عبارته، وسنشير إلى البعض الآخر في مظانّه: ولازمه أن يكون اسـمُ الجلالة الكاشفُ عن الذاتِ المسـتجمعة بجميع صفات الكمال اسماً من أسماء الذات دونها، ودون الإسـم المكنـون المخزون، وكذا «تبـارك» و«تعالى» ثلاثة أسماء معاً وسـدنةً وحجّاباً للاسم المكنون، من غير أنْ يتقدّم بعضها بعضاً. وهذه الحجّاب الثلاثة والإسم المكنون المحجوب بها جميعاً دون الذات، وأمّا هي فلا ينتهي إليها إشـارة ولا يقعُ عليها عبارة، إذ كلّما تَحكيه عبارة أو تُومئ إليه إشارة اسمٌ من الأسماء محدود بهذا النحو، والذات المتعالية أعلى منه وأجلّ. (انتهى كلامه)[1].

- وفي ص٦٧ قال: أما وأنَّ اللّه سبحانه قاهر غير مقهور، وغالب لا يغلبه شيء مطلقاً، فلا تتصور في حقّه وحدة عددية ولا كثرة عددية، وبذلك فإنّ القرآن يُثبت من الوحدة ما لا يستقيم معه فرض أي كثرة،

هــذا الباب كان عين الآخر لعدم الحد، فذاته تعالى عين صفاته، وكلّ صفة مفروضة له عين الأخرى (انتهى كلامه).

- وفــي ص٧٣ قال: فما من صفة كمالية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والعزة والقوة والغنى، وأيّ كمال آخر مفروض إلاّ وهو موجود له ســبحانه، وكلما فرضنا شيئاً من الأشياء ذا شيء من الكمال بإزائه (ســبحانه)، ليكون ثانياً له وشــريكاً عاد ما بيده من معنى الكمال للّه محضاً (انتهى كلامه).

- أي أنّ كلّ ما يفترض من الكمالية والجمالية فهو يعود عوداً بشكل ممحض لله.

- وقال في ص٧٢-٧٣: أمّا الوحدة الحقة الحقيقية فيلازمها عدم المحدودية وعدم التناهي، وهذه من أهمّ صفات اللّه الثبوتية التي تعني أن ليس للّه حدٌّ ولا له نهاية. (انتهى كلامه)

- وهــذه الكلماتُ تُؤكّد النظر الذي أشــرنا إليه، وهنا يلاحظ في مقام ثانٍ ففي ص١٠١ وما بعدها، يقول باســتحالة المعرفة بالكنه أي لا يمكن معرفةُ كُنْهِ ذاتهِ تعالى، وننقل العبارة كاملة[1]: من النتائج التي تثبت على التوحيد الذاتي ببعديه الواحدي والأحدي، إستحالة معرفة اللّــه بالكنه، إذْ لا يمكن أن نقف على ذاتــه وكنهه وحقيقته (يا من لا

متناه، فمِن المحال أن يُحيـط المتناهي باللامتناهي وأنّى له ذلك، فلو أنَّ الإنسـان اكتنهَ حقيقةَ شـيء ووقف على كنهه فقد أحاط به، **ولو كانت تلك إحاطة علمية**، ولمّا كان الواجب (سـبحانه) لا متناه، فمن المسـتحيل للإنسـان أن يكتنهه، حيث لا يمكن للمتناهي- كما مرّ- أن يُحيط به علماً، وفي هذا الاتّجاه راح القرآن الكريم والمأثور من حديث النبيّ وأهل بيته صلوات اللّه عليهم يُحذّران الإنسـان من الإنزلاق إلى هذا الوادي السحيق، لما يُفضي إليه من تيهٍ وضياع وضلال، فمن حيث القرآن ثَمَّ آيات عديدة تُثبت حقيقةَ عدم إمكان الإحاطة به علماً، منها قوله سبحانه ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾[1].

وفي ردّ الإمام عليّ بن موسـى الرضا عليه السلام على أسـئلة وشـبهات أبـي قُرَّة المحـدث، أنَّ الإمام احتجَّ فـي دفع الرؤية بقوله سـبحانه ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ وقولـه تعالـى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ وآيـة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ حيث قال عليه السلام: فإذا رأته الأبصار فقد أحاط بـه العلم ووقعت المعرفة [2]. والمعرفة التي يَعْنيها الحديث، هي المعرفة الإحاطية. وكذا الحال إذا وقع كنهه في العقل، وإذا وقعت هويته وذاته فيـه أيضاً. وتوضيح ذلك، أنَّ الإحاطة على ضربين، إحاطة بصرية وإحاطة بصيرية (نسـبة إلى البصيـرة) تقع في القلب، والقرآن ينفي

---

(١) سورة طه: آية ١١٠.

هويته، ومعرفة هوية ذات الحقّ محال، لاستحالة الإحاطة بضربيها، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: لم يُطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته [1]. إذ يجمع النص في توازن دقيق بين استحالة الإحاطة كُنْهاً وإمكان المعرفة في حدّها الواجب، وربما أشار بعض المفسّرين إلى إستحالة المعرفة الكنهية وتحذير القرآن منها، بقول الحق سبحانه ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [2]، حيث لا يمكن لأحد أن يبلغ ذلك المقام.

من روائع كلمات أمير المؤمنين في هذا المجال قوله عليه السلام: «**فتبارك الله الذي لا يبلغه بُعد الهمم ولا يناله حدس الفطن**»[3]. فربّما يمكن استشفاف أن قوله عليه السلام: بُعْد الهمم، له علاقة بسلوك العارف، ومِن ثَمّ فيه إشارة إلى البعد العملي، حيث يسعى الإنسان إلى أن ينكشف له الحقّ وتحصل له معرفته بكنه ذاته، من خلال الإشراف القلبي وعن طريق التزكية الباطنية، فيأتي هذا النص للإمام ليوصد الباب في هذا الإتّجاه، وفي مقابل ذلك، يشير قوله عليه السلام: (حدس الفطن) إلى الحدس العقلي ليكون المعنى أنَّ طريق اكتناه الذات مغلق أمام الإنسان، سواء سلك لمعرفته طريق الكشف والإشراق وتزكية الباطن أم طريق العقل والقوة الإدراكية.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٤٩، ص٨٨.

(٢) سورة آل عمران: آية ٢٨.

أول الديـــن معرفتـــه [1]، فكيف نُوفّق بين هذا وبـــين ما نحن فيه من إستحالة المعرفة.

لا يعنـــي الإمام علـــيٌّ عليه السلام في كلامه، أنَّ المعرفة الإنســـانية تتعلّق بذات الحق (سبحانه) فمعرفة الذات لا مجال لها، ولا يمكن لأحد أن يعلم ما هي (يا من لا يعلم من هو إلاّ هو) وإذ لا يتمكن الإنســـان من معرفة الذات فلا يمكن أن يضع اســـماً للذات، لأنَّ وضع الإســـم فرعٌ يتأسّـــس على معرفة المســـمّى، وما لم يســـتطع الإنسان أن يقف على حقيقة المسمّى فأنَّى له أن يضع له اسماً !! [2] (انتهى كلامه).

- فهذا- كما سترى- التعارض فيما بَنى وفيما هو المبنى، فبما أنّه قد قرَّر أنَّ معرفته محال حتى في صُقْع عالم الأزل والسرمد، ثمَّ يأتي في ص١١٤ فيقول: عندما يجري الحديث عن أســـماء اللّه الحســـنى والاسم الأعظم فليس المقصود من ذلك الألفاظ، ومِن ثَمَّ فإنَّ الأسماء الحســـنى لا تعني الألفاظ الجميلة، بل المراد من ذلك الحقيقة والعين دون اللفظ والصورة الذهنية، لذلك قَسَّـــمُ العلماء الإســـم: إلى اســـم لفظي واســـم عيني، وعندما يدعو الإنســـان بقوله (**اللّهمّ إنّي أسألك بإسمك**) فلا يقصد بذلك لفظ الإسم، بل هو يسأل بالواقع الخارجي

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١، ص٣٩.

القدرة التي تتسم به الذات الإلهية، وليس بألفاظ الجمال والكرم والقدرة، والذي يُحقّق الإجابةَ ليس الألفاظ مِن جهة أنّها أصوات بل الحقيقة الكائنة وراءها. (انتهى كلامه)

- **لكن هنا وقفة دقيقة**، وذلك بما أنَّ السؤال يتمّ بواقع الجمال وواقع الجلال وواقع القدرة، فأنت لا تسأله إلاّ بما تتّصف به الذات الإلهية، وأنتم قد قرَّرتم أنَّ الإنسان لا يستطيع أن يضع اسماً للذات فكيف يكون الجمال عينه؟! والقدرة عينه؟ فهل نعرف الذات لنصفها بالجمال والجلال؟ والحال أنها حقيقة خارجية، وقد أشار إليها صاحب الميزان في ج٨ في تفسير سورة الأعراف ص ٣٦٥ في شرح النص الشريف الذي أورده الكليني أعلى اللّه مقامه في الكافي الشريف: إنَّ اللّه تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوّت، وباللفظ غير منطق، وبالشخص غير مجسَّد، وهذه الأسماءُ الثلاثةُ أركانٌ وحُجُب (الرواية)، فإنَّ الاسم المكنون المخزون لمّا كان اسماً، فهو تعيّن وظهور من الذات المتعالية، وإذ كان مكنوناً بحسب ذاته غير ظاهر بحسب نفسه، فظهوره عين عدم ظهوره، وتعيُّنه عين عدم تعيينه... ثمّ يقول: وهو ما يُعبّر عنه أحياناً بقولنا، إنّه تعالى ليس بمحدود بحدّ حتّى بهذا الحد العدمي، لا يحيط به وصف، ولا نعت حتّى هذا الوصف السلبي، وهذا بعينه توصيف منّا والذات المتعالية أعظم منه وأكبر (أي

منــزّه عن هذه الجملة، لأنّها في واقع الأمــر إخبار، والإخبار إحاطة المُخبر عمّا يُخبر عنه، فدقِّق وتبصَّر.

- ثمّ يقول السيّد الطباطبائي: وأمّا اللّه تبارك وتعالى، ثلاثة أسماء معاً ســدنة وحُجّاباً للاســم المكنون من غير أن يتقدّم بعضها بعضاً، وهذه الحُجّاب الثلاثة والاسم المكنون المحجوب بها جميعاً دون الذات، وأمّا هي (أي الذات) فلا ينتهي إليها إشــارة، ولا يقع عليها عبارة إذ كلّ ما تَحكيه عبارة أو تُوميء إليه إشارة اسم من الأسماء محدود بهذا النحو، والذات المتعالية أعلى منه وأجلّ (انتهى كلام صاحب الميزان).

- والســيد المقــرَّر له كتابه في التوحيد لم يتعــرَّض للروايات التي تُفرّق بين الاســم والمسمّى ممّا جعله يقع في ذلك. ونُكمل إن شاء اللّه في المحاضرة الأُخرى ما يكشف لك الحقيقة.

المحاضرة
الثانية

■ تتضمَّنُ المطالبَ التالية:

- رأي مشهور الفلاسفة في عدد الصفات الذاتية.
- مناقشةُ السّيد الطباطبائي المشهورَ في صفتي الكلام والإرادة.
- التحليل العقلي عند السيد الطباطبائي لصفتي السمع والبصر الذاتيتين.
- الردّ على مُدّعى السيّد الحيدري من إتفاق كلمة العلماء على عينية الصفات.
- المكاتبات بين العَلَمين السَّيد الكربلائي والشيخ الكمپاني ونتائجها.
- ردّ قاطع على تناقضات ما ذكره السيّد من عينيّة الصفات للذات.
- تراجم هامّة في حواشي المتون لكلّ من القاضي القمي، والشيخ الكمپاني، والسيد الكربلائي، والشيخ العطّار النيشابوري.

مـــا زال الكلام في مواقع النَّظر في الجزء الأول من كتاب التوحيد بحوث في مراتبه ومعطياته، يقول السّـــيد فـــي ص١٢٤ تحت عنوان **عدد الصفات الذاتية:** دأب المختصّون على ذكر سبع صفات في عداد الصفات الذاتية هي: الحي، العالم، القادر، الســـميع، البصير، المريد، المتلكم، بيد أنّ لبعض المحققّين نقاشاً في أنْ يكونَ الكلام والإرادة من صفات الذات.

عند هذا المفترق نَشَـــب نزاعٌ بين الفلاسفة والمتكلّمين حيث يذهب المتكلّمـــون إلى أنَّهما من صفات الفعل، يُرجِّـــح مذهبهم ما تُصرّح به الآيات والروايات مِن أنَّ الإرادة من صفات الفعل.

دَفَعَ هذا الأمرُ عدداً من الفلاسفة، للالتزام بأنَّ الإرادة من صفات الفعل. إلى هذا انتهى الســـيّد محمّد حسين الطباطبائي حين خالف المشهور ممّا ذهب إليه الفلاسفة في اعتبار الإرادة والكلام من الصفات الذاتية لينتهي في آخر المطاف إلى أنَّهما من صفات الفعل، أمّا بشأن الخمس المتبقيّة فهو يعتقد أنّ السمع والبصر يرجعان بحسب التحليل العقلي إلى العلم، فمعنى السمع هو العلم بالمسموعات، ومعنى البصر هو العلم بالمبصرات، وقد أُفردا كصفتين مستقلّتين عن العلم لورودهما في الكتاب والســـنة ليس إلاّ، وذلك بعكس الكلام الذي لم يرد منه في الكتاب الكريم إلا ما كان صفة للفعل [1].

تتفــق عليها كلمة العلماء بأنَّها من صفات الذات، دون وجود اختلاف يذكر بينهم.

**ويَـرد علـى مـا أفاده بالقـول:** «وهذه ممّا تتّفق عليهـا كلمة العلماء بأنَّهـا من صفات الـذات».. بأنّه كلامٌ غير دقيق، باعتبار أنَّ السـيد القاضي القمّي[1] وهو صاحب التصانيف والتآليف المشـهورة، وممّن له قصب السبق في مختلف العلوم والفنون، يكفي على سبيل الإشارة إليها- شـرح توحيد الصدوق الذي وقع فـي ثلاثة مجلدات مطبوعة مضافاً إلى شـرح الأربعين النفيس، فكيف سـاغ التعبير ب (العلماء) المفيد للعموم، وقد اسـتفاض الحديث في كتبه على ردّ نظرية عينية الصفات للذات وغيرها، والذي عبّر عنه الإمام الخمينيّ قُدِّس سِـرُّه فـي تعليقه على الفوائد الرضوية بقوله «فـإنّ ممّا وفّقني التأييدات الرّبوبيّة، وأيّدني التوفيقات القُدسـيّة الألوهيّة، هو الاستعداد بزيارة هذا الحديث القدّسـي النازل عن سـماء الوحي والتقديس، وشرحه الذي أفاده شـيخ العرفاء الكاملين، قدوة أصحاب القلوب والسالكين، كاشـف إشـارات الأخبار ورموزها، مُخرج لباب الآثار وكنوزها، فخر الطائفـة وعينها، وذخر أهـل المعرفة وزينها، المؤيّـد بتأييدات الربّ

---

(١) هو المولى، الفاضل، الحكيم، العارف المُتشـرّف، الأديـب الكامل، المُحقّق الصّمداني، مُحمّد بن مُحمّد مُفيد، وكما يقول عن نفسه: المدعو بسعيد الشّريف القُمّي، ويصف نفسه بالحكيم

أصحاب التّراجم، هو مُحمّد مُفيد، أو مُفيد وانّه مدعو، أو مُلقّب، أو مُشتهر بـ«سعيد»، وكانّ السّعيد صار جُزءاً من اسمه، كما يظهر من تعريفه نفسه، بقوله: مُحمّد سعيد الحكيم، في مُقدّمة أسرار الصنايع، وبعض معاصريه سمّاه أيضاً هكذا وانّه مدعو بـ«الشريف» و«الحكيم» و«القاضي».

ويظهر من مقارنة شّتى كلماته في مختلف آثاره أنّه ولد في العاشر من ذي القعدة سنة ١٠٤٩هـ وتاريخ وفاته مجهول، فبعض أصحاب التراجم لم يتعرّض له مثل صاحب هداية الأحباب، وبعضهم مثل صاحب طرائق الحقائق، قال: «إنّه توفّي بقُم المُشرّفة قريباً من سنة ١١٠٠هـ» وقال صاحب روضات الجنّات: «إنّي لم أتحقّق إلى الآن من تاريخ وفاته، وكأنّه من أوائل المئة الثّانية، أم أواخر المئة الأولى بعد الألف» وقال صاحب ريحانة الأدب: «أنه توفّي سنة ١١٠٣هـ» وزعم السيّد مُحمّد مشكوة في مُقدّمته على كليد بهشت: «إنه كان حيّاً في ١٤ جمادي الثّانية سنة ١١٠٣هـ».

وأقول على ما في خاتمة المجلد الثّالث من شرح التّوحيد: «إنّه كان حيّاً في الثّامن عشر من شهر رمضان المُبارك لسنة ١١٠٧هـ».

وعلى ما جاء في كتاب التّراجم: «ولد بقُم المُقدّسة، وبعد تحصيل المُقدّمات، وبعد ما قرأ على أبيه الطّب في صغر سنّه، هاجر إلى أصفهان، وكان مُتردّداً بين أصفهان وقُم المُشرّفة طوال عُمره الشّريف، في هجرته الأولى لأصفهان، دخل في زُمرة أطباء الشّاه عبّاس الصّفوي الثّاني، كما كان أخوه الحكيم، ميرزا مُحمّد حُسين، وكانا مُعظّمين عند السّلطان، وفي نفس الوقت، تتلمذ على المولى رجب عليّ التّبريزي، وبعد عدّة سنوات، تصدّى لمنصب القضاء من قبل السّلطان، وبعد جُلوس السّلطان، سُليمان الصّفوي سنة ١٠٧٧هـ، غضب عليه الشّاه، وأمر بحبسه في قلعة الموت، ولكن سلامة نفسه، كانت سبباً لعفوه، فأقام بقُم المُشرّفة، مُشتغلاً بالعبادة والتّدريس والتّصنيف حتّى سنة ١٠٨٩هـ وذهب إلى أصفهان في تلك السّنة، وأقام بها حتّى سنة ١١٠٢هـ ثم رجع إلى قُم - وإن لم نعلم تاريخ رجوعه- مُتصدياً لمنصب القضاء وشيخ الإسلاميّة بقُم، من قبل الشّاه سُليمان الصّفوي، وكان حيّاً في سنة ١١٠٧هـ».

ولم أعثر على خبر عنه بعد هذا العام، ولم أتحقّق من تاريخ وفاته، وهو مدفون بقُم المُقدّسة، فرحمة الله عليه، وجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء.

**مكانته العلميّة وسيرته العمليّة:** كان القاضي سعيد من الجانب العلمي طبيباً أديباً وشاعراً بالفارسيّة فقيهاً حكيماً عارفاً مُتضلّعاً في الأخبار والأحاديث، خاصّة المُشكلة منها، بالشّرح والتّأويل، تتلمذ في الطّب على أبيه بقُم، وأقبل عليه في صغر السّن، وأيّام الشّباب، وكأنّه تركه بعد حين.

وتتلمذ في الحكمة، على المولى رجب عليّ التّبريزي، المتوفّى سنة ١٠٨٠هـ بأصفهان، وهو من

وتتلمذ في العُلوم الدّينية والحقيقة، على المولى مُحمّد مُحسن الفيض الكاشاني سنة ١٠٩١هـ وأقبل على شرح الأحاديث وتأويلها، حينما بلغ عُمره ثلاثين سنة وقام بها طوال عُمره الشّريف وترك لنا في هذا الباب تُراثاً ضخماً، ويظهر من آثاره، من نقله، واستناده على أقوال كثير من العُلماء ونقدها، سعة اطّلاعه، وقوّة فهمه، ومرتبة علمه، واستقلال رأيه أمّا في الجانب العملي، فهو سالك مُتشرّع، وله ميل للتّصوّف والعرفان كان مؤيّداً بروح القُدس، ومشمولاً بتأييدات غيبيّة وكما يقول هو عن نفسه، كان مُفاضاً وملهَماً عند الله، في فهم الأسرار المكنونة، والدّقائق الكشفيّة المخزونة، في الآيات والأحاديث وكان مُقيّداً بتبعيّة أهل البيت عليهم السلام ومُصرّحاً بها في العلم والعمل فهو ﷺ، مُتوغّل في التّوحيد، وحُبّ أهل البيت عليهم السلام والاقتباس من مشكاتهم، والسّير على سنّتهم وسلوكهم، وتأويل وتشريح مُعضلات كلامهم، وما قالوا فيه من ميله المُفرط إلى التّصوف، فيه تأمّل، فإنه رحمه الله، مُتمسّك بحبل النّبيّ والوصي عليهم السلام والمُلتجئ إلي عتبة باب العلم، ولم يتمسّك بالآراء والأهواء، ويرى شرافته إلى النبيّ والآل عليهم السلام.

وممّا يهمّني ذكره، أنّه وإن كان مُعظّماً عند سلاطين زمانه، وتصدّى لمنصب القضاء الشّرعي من قبلهم، ولكن لا نرى في كلماته ما يمدحهم به، كما لم نعثر على أثر أهداه إلى أرباب السّلطة، وكأنّه أغمض عينيه عن جميع مُزخرفات الدّنيا، ومظاهر السّلطة، وأرباب القُدرة.

**أساتذته:** كما أشرنا سابقاً، يُصرّح بأستاذه في الحكمة الإلهيّة، المولى رجب عليّ التّبريزي، وأستاذه في العُلوم الدّينيّة والحقيقة، المولى مُحمّد مُحسن الكاشاني، في غير موطن من آثاره، وما قال بعضهم، أنّه قرأ على المولى عبدالرّزاق اللاهيجي (الفياض) فليس بصحيح.

**تلامذته:** يظهر من آثاره، أنّه قرأ عليه أفاضل، كانوا من تلامذته، وإن لم يُصرّح بهم أصحاب التّراجم، منهم: مُحمّد ويُحتمل أن يكون هو الذي يذكره صاحب الذّريعة، بقوله: «مُحمّد بن حُسين عليّ، المظنون أنّه حفيد المولى عبدالله التّستري، المُتوفّى سنة ١٠١٢هـ ومنهم، من اسمه مهدي واحتمل ضعيفاً، أنّه هو الذي له تعليقات على المُجلد الأوّل، من شرح التّوحيد، يعترض فيها عليه ومنهم، المولى مُحمّد كريم.

**مُصنّفاته:** له مُصنّفات كثيرة، أكثرها في شرح الأحاديث المُشكلة، كما أنّها باللغة العربيّة، إلاّ كتاب (كليد بهشت، وأسرار الصّنائع) فإنّهما باللغة الفارسيّة، اتّسقت وانسجمت آثاره من الآيات، والأحاديث، وآراء الحُكماء، والمُتكلمين، وكلمات المُفسّرين والمُحدّثين، ومواجيد وأذواق العُرفاء والمُحقّقين، وأهل السّلوك، والأشعار الفارسيّة والعربيّة، وله عناية خاصّة بالتّأويل، وكثيراً ما يُصرّح بما أخصّه الله به من الفهم.

ولا يُمكن ذكر ترتيب تاريخي على مُصنّفاته، فإنّه في الأربعين يذكر شرح التّوحيد والبوارق، وبعض آثاره بوجه كلّي، وفي شرح التّوحيد، يُرجع القارئ إلى الأربعين، وكذا في أكثر مُصنّفاته،

١- أسرار الصّنايع في فلسفة بعض العُلوم.
٢- كليد بهشت في الحكمة.
٣- الأربعين في شرح الأحاديث.
٤- شرح توحيد الصدّوق.
٥- الأربعينات لكشف أنوار القدسيات. وهي مجموعة من عشر أو إحدى عشرة رسالة، صنّفها منفردة، ثمّ نقلها في هذه المجموعة، وكان في نيّته، أن يجمع فيها أربعين رسالة، ولم يف به عمر الشّريف هي:
١- رسالة حقيقة الصلّة، أو مقالة التوحيد.
٢- رسالة إشارة وبشارة، في حقيقة اختلاف الواقع في القراءات السبع، مخطوط.
٣- رسالة الفوائد الرّضويّة في شرح حديث سؤال رأس الجالوت من الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام: «ما الكفر والإيمان؟» وجوابه عليه السلام مخطوط.
٤- رسالة مرقاة الأسرار، في بيان ربط الحادث بالقديم، وحُدوث العالم، مخطوط.
٥- رسالة النّفحات الإلهيّة والخواطر الإلهاميّة، وهي مُسجّعة المباني، مخطوط.
٦- رسالة الأنوار القُدسيّة، في تحقيق الهيولي والصّورة والنّفس، مخطوط.
٧- رسالة المقصد الأسنى، في تحقيق ماهيّة الحركة ووجودها، مخطوط.
٨- رسالة الحديقة الورديّة، في السّوانح المعراجيّة، مخطوط.
٩- رسالة البُرهان القاطع، والنّور السّاطع، وهي ترجمة أستاذه المولى رجب عليّ التبريزي، من اللّغة الفارسيّة، إلى العربيّة، مخطوط.
١٠- رسالة الطّلائع والبوارق، في تحقيق أنّ لكُلّ حقيقة من الحقائق الإمكانيّة صورة، وأنّ أحسنها الصّورة الإنسانيّة، مخطوط.
١١- رسالة شرح حديث الغمامة، من إعجاز أمير المؤمنين عليه السلام مخطوط.
٦- أسرار العبادات، مطبوع.
٧- تعليقات على أثلوجيا، وهي تفصيل لرسالة حقيقة الصّلاة، مخطوط.
٨- روح الصّلاة، وهي تفصيل لرسالة حقيقة الصلاة، مخطوط.
٩- هامشية على شرح الإشارات، غير موجود.
١٠- شرح حديث البساط، مخطوط.

تنويه: تلزم الإشارة إلى أنّنا نقلنا ترجمة القاضي سعيد القمي رحمه الله من المقدّمة التي كتبها الأستاذ القدير الدكتور نجفقلي حبيبي دام مجده في تصحيحه وتعليقه على شرح توحيد الصدوق رحمه الله.

الواسعة، وتجلّى عليه بالأنوار الباهرة»[1].

وممّن قدح بنظرية عينية الصفات للذات فيما نُقل من المكاتبات[2]، العارف الكبير والفقيه الخبير آية اللّه السّـيد أحمد الكربلائي تلميذ شـيخ العرفاء العلاّمة حسينقلي الهمداني، وأُستاذ العارف الشهير آية اللّه الحاج الميرزا علي القاضي، وآية اللّه السيد جمال الدّين الكَلپايكَاني قدّس اللّه أسـرارهم وأعلا مقامهم، هذه المكاتبات التي تمّت بينه وبين العالـم الفقيه والحكيم النّبيه آية اللّه العظمى الشـيخ محمّد حسـين الأصفهاني المعروف بالكمباني قُدّس سـرّه[3]. على أثر سـؤال طرحه الفاضل الشّـيخ إسماعيل التبريزي رَحِمه اللّه في بيان سرّ بيتين وردا

---

(١) التعليقية على الفوائد الرضوية: مقدّمة الإمام الخميني، ص١.

(٢) توحيد علمي وعيني، جمعه ورتبّه وذيّل عليه آية اللّه العلاّمة السّيد محمد حسين الحسيني الطهراني رحمه اللّه.

(٣) ترجمة: العالم الفقيه والحكيم النّبيه الشـيخ محمد حسـين الغـروي الأصفهاني المعروف بالكُمباني قدّس سرّه.

**اسمه ونسبه:**

الشيخ محمّد حسين بن محمّد حسن بن علي أكبر الغروي الإصفهاني المعروف بالكُمباني.

**ولادته:**

وُلد في الثاني من المحرّم ١٢٩٦هـ بمدينة الكاظمية المقدّسة.

**حبّه لأهل البيت (عليهم السلام):**

قال السـيّد عبـد العزيز الطباطبائي اليزدي: «كان لدى الشـيخ الإصفهاني شـوق وافر وحبّ

الأئمّة (عليهم السلام)، وحين فراغه من الزيارة يصلّي صلاة جعفر الطيّار بدل ركعتي صلاة الزيارة، ويهدي ثوابها للأرواح المطهّرة للأئمّة (عليهم السلام)، وقد حافظ على هذه السنّة طيلة حياته، وكان لديه حبّ خاصّ للإمام موسى الكاظم عليه السلام، ويهتمّ اهتماماً كبيراً بزيارته».

**من صفاته وأخلاقه:**

كان (قدّس سرّه) رجلاً بمعنى الكلمة، جمع بين العلم والعمل، وبين الذوق والتقوى، وكان صاحب طباع حميدة وكلام جميل، ومن صفاته الأخرى: الوقار والسكينة، وحسن المعاشرة، والتواضع مع الجميع حتّى الأطفال، وكان طلّابه يحبّونه حبّاً كثيراً، لسببين:

١. ما كان يتمتّع به من مقامه الشامخ، وتبحّره العميق في العلوم، وذوقه الرفيع، وعزّة نفسه.
٢. إنّه كان أباً رؤوفاً ورحيماً لطلّابه.

**من أقوال العلماء فيه:**

١. قال الشيخ محمّد رضا المظفّر: «كان من زمرة النوابغ القلائل الذين لا يضنّ الزمان بهم إلّا في الفترات المتقطّعة، ومن أولئك المجدّدين للمذهب، الذين يبعث الله تعالى واحداً منهم في كل قرن، ومن تلك الشخصيات اللامعة في تاريخ قرون علمي الفقه والأصول».
٢. قال الشيخ آقا بزرك الطهراني(تغمّده الله برحمته): «ولمّا توفّي شيخنا الخراساني برز بشكل خاصّ، فحفّ به جمع من الطلّاب، واستقلّ بالتدريس في الفقه والأصول، وكان جامعاً متفنّناً شارك. بالإضافة إلى ما ذُكر. في الكلام والتفسير والحكمة والتأريخ والعرفان والأدب إلى ما هنالك من العلوم، وكان متضلّعاً فيها.

وله في الأدب العربي أشواط بعيدة، وكان له القدح المعلّى في النظم والنثر، امتاز ببراعة وسلاسة ودقّة وانسجام، وأكثر نظمه أراجيز، بالجملة فهو من نوابغ الدهر الذين امتازوا بالعبقرية وبالملكات والمؤهّلات، وغرقوا في المواهب.

كان محترم الجانب، موقّراً من قبل علماء عصره، مرموقاً في الجامعة النجفية، اشتغل بالتدريس في الفقه والأصول والعلوم العقلية زمناً طويلاً، كانت له قدم راسخة في الفقه وباع طويل في الأصول، وآثار في ذلك تدلّ على أنظاره العميقة وآرائه الناضجة».

٣. قال السيّد محمّد حسين الطباطبائي: «إنّ الشيخ الإصفهاني كان عالماً جامعاً للعلم والعمل والتقوى والذوق، وكان يمتلك طبعاً رصيناً وكلاماً جميلاً».

**من أساتذته:**

الشيخ جواد آقا الملكي التبريزي، الشيخ حسن التويسركاني، السيّد محمّد الفشاركي، الشيخ رضا الهمداني.

**من تلامذته:**

السيّد محمّد هادي الحسيني الميلاني، السيّد أبو القاسم الخوئي، الشيخ محمّد تقي بهجة الفومني، السيّد محمّد حسين الطباطبائي، الشيخ محمّد علي الأراكي، السيّد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الشيخ أبو الفضل النجفي الخونساري، الشهيد السيّد مرتضى الموسوي الخلخالي، السيّد محمود الموسوي الزنجاني، الشيخ علي محمّد البروجردي، السيّد محمّد الحسيني الهمداني، الشيخ محمّد علي الأردبادي، السيّد صدر الدين الجزائري، الشيخ محمّد حسن القوجاني، الشيخ محمّد رضا المظفّر، الشيخ محمّد حسين المظفّر، السيّد هادي الخسرو شاهي، الشيخ عبد الحسين الأميني، الشيخ عبد المهدي مطر، الشيخ عباس القوجاني.

**من مؤلّفاته:**

نهاية الدراية في شرح الكفاية، الأنوار القدسية، رسالة في إطلاق اللفظ وإرادة نوعه وصنفه وشخصه، رسالة في أقسام الوضع والبحث عن المعنى الحرفي، رسالة في أخذ الأُجرة على الواجبات، رسالة في علائم الحقيقة والمجاز، رسالة في تحقيق الحقّ والحكم، رسالة في الاجتهاد والتقليد، رسالة في الحقيقة الشرعية، رسالة في الصحيح والأعم، رسالة في الطلب والإرادة، رسالة في اشتراك الألفاظ، رسالة في الشرط المتأخّر، رسالة في صلاة الجماعة، رسالة في موضوع العلم، رسالة في صلاة المسافر، رسالة في إطلاق الأمر، كتاب في أصول الفقه، رسالتان في المشتق، رسالة في الحروف.

**وفاته:**

تُوفّي (قدّس سرّه) في الخامس من ذي الحجّة ١٣٦١هـ في النجف الأشرف، ودُفن بجوار مرقد

(١) ترجمة الشاعر الكبير والعارف الشهير العطار النيسابوري:

هو فريد الدين محمد بن إبراهيم النيسابوري ولد في نيسابور في أواخر عصر السلجوقية ومضت مدة طفولته في مشهد المقدسة. سافر إلى ما وراء النهر والهند والعراق والشام ومصر وحجّ بيت الله الحرام، وثم رجع إلى مسقط رأسه نيسابور وأقام فيها إلى نهاية عمره.

كان العطار مشغولا بالطب وكانت لديه مستشفى لمعالجة المرضى، وإضافة لذلك كان دائماً مشغول بالقراءة والتأليف وكان يتحدث في كتبه عن أحوال العرفاء.

كان أستاذاً في الشعر، ويقال بأن مؤلفاته بعدد سور القرآن الكريم أي مائة وأربع عشرة مؤلفاً وأشهرها هو كتاب منطق الطير، الذي طبع مكرراً في إيران والهند وطبع باللغة الفرنسية ثلاثين مرة باهتمام المستشرق جارسن دي.

يقول المحدث القمي في كتابيه الكنى والألقاب وهدّية الأحباب:

إن اغلب مصنفاته في الشعر وتكلم عن التوحيد والمعارف والحقايق.

العطار يمدح أمير المؤمنين في أبياته باللغة الفارسية:

ز مشرق تا به مغرب كر إمام است عَلِيّ وآل آو ما را تمام است
كرفته اين جهان وصف سنايش كذشته زان جهان وصف سه نانش
چه در سرّ عطا إخلاص أو راست سه نانِ را هفده آيه خاصَ او راست
چنان در شهر دانش باب آمد كه جَنّت را به حقّ بوّاب آمد
چنان مطلق شد اندر فقر وفاقه كه زرٌ و نقره بودش سه طلاقه
اكر علمش شدي بحر مصوّر در او يك قطره بودي بحر أخضر
چه هيچش طاقت منّت نبودي ز همّت كشت مزدور يهودي

كسي كفتش چرا كردي؟ بر آشفت زبان بكشاد چون شمع وچنين كفت:

لِنَقْلِ الصَّخْرِ مِنْ قُلَلِ الجِبَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِنَنِ الرِّجَالِ
يَقُولُ النَّاسُ لِي فِي الكَسبِ عَارٌ فَإِنَّ العَارَ فِي ذُلِّ السُّؤَالِ

يقول المؤرخ الشهير ابن فوطي (متوفى سنة ٧٢٣هـ) في كتابه تلخيص معجم الألقاب شارحاً أحوال العطار:

كان من محاسن الزّمان قولاً وفعلاً ومعرفة وأصلاً وعلماً وعملاً، رآه مولانا نصيرُ الدّين أبو جعفر محمّد بن محمّد بن الحسن الطوسي بنيسابور، وقال: كان شيخاً مُفَوَّهاً حسنِ الإستنباط والمعرفة لكلام المشايخ والعارفين، والأئمّة السّالكين. وله ديوانٌ كبيرٌ، وله (مَنطِقُ الطّيرِ) من نظمه المثنوي. واستشهد على يد التّتار بنيسابور.

إضافة لذلك فقد اثاه ومجدّه القاضي نور الله التستري في كتاب مجالس المؤمنين وشرح أحواله بشكل مفصّل.

كما سبق وأن قلنا للعطار مؤلفّات عديدة منها الهي نامه، مظهر العجائب ومنطق الطير.

أما بالنسبة لتشيّعه وتبعيته لمدرسة أهل البيت فهذا ممّا لا ينبغي الشك فيه، حيث ذكره آية الله السيد محسن العاملي في كتابه أعيان الشيعة وصرّح بمذهبه السيد القاضي نور الله التستري.

أوردتُ كلّ مـا يخصّ بالبيتـين وترجمتهما وما يتعلّـق بتراجم هؤلاء الأعاظم في حاشـية هذه المتون، فانظر إن شـئتَ. ثمّ عرض الشيخ التبريزي جـواب الآخوند على العَلمَين، ومِنْ ثَـمَّ تبدء رحلة المكاتبة والتي سترى أنّها تقوم على أسـاس مبنيين، أحدهما فلسفي حكمي، والآخر عرفاني وجداني، يتبنّى المنهج الأول الشيخ الكمباني بينما يتبنّى المنهج الثاني السـيد الكربلائي[1]، وفي غمار هذه الأمواج المتلاطمة، سـنقتصر على مـا يهمّ المقام من نفي العينية، كما سـتُلاحظ موقف السّيد الكربلائي وهو من أعمدة حوزة النجف الأشرف، كيف يردّ على القائل بها والمتبنّي لها.

---

(١) ترجمة العالم الكبير والعارف النّحرير الحاج السيّد أحمد الكربلائي قدّس اللّه نفسه:

**اسمه ونسبه:**

هـو المرحـوم آية اللّه الحاج السـيّد أحمد الطهراني الكربلائي ابن السـيد إبراهيم الموسـوي الطهراني.

**من أساتذته:**

الحاج الميرزا محمّد حسن المجدّد الشيرازي والعلامّة الميرزا حبيب اللّه الرشتي، والعلامّة الميرزا حسين الخليلي الطهراني، والعلامة المولى حسينقلي الهمداني.

**من تلامذته:**

المرحوم آية اللّه الحاج الميرزا علي القاضي، والمرحوم آية اللّه السيد جمال الدين الكَلبايكَاني.

**من صفاته وأخلاقه:**

برز السـيد أحمد في الفقه والأخلاق والعرفان، كان هو قدّس سـرّه عابداً زاهداً ذا ورع وتقوى وكثـرة بكاء. خدم والدته إلى نهاية حياته وتُوفّي قبلها. تجنّب التصديّ للمرجعية في عصره مـع أنّه كان مؤهلاً لها. بلـغ الدرجات العالية في الفقه والأخـلاق والتهذيب، حيث كان من أعاظم فقهاء الشـيعة ومن أساطين الحكمة والعرفان، ففي الحكمة والعرفان يكفي في بيان منزلته، إنّه هو والشـيخ محمد البهاري بَرَزا من بين تلاميذ آية اللّه العظمى الآخوند المولى

**من أقوال العلماء فيه:**

يقول العلاّمة الحاج الشيخ آغا بزرك الطهراني رَحِمه اللّه في أعلام الشيعة: عالم جليل وفقيه كبير وأخلاقي معروف، فريد دهره وأوحدي عصره في المعرفة باللّه والخشية منه.

**وفاته:**

تُوفيّ (قدّس سرّه) وهو يصلّي صلاة العصر في يوم الجمعة المصادف لـ ٢٧ شوال ١٣٣٢هـ في النجف الأشرف، ودُفن بجوار مرقد الإمام علي عليه السلام.

**- كيفية نشأة المكاتبات بين العلمين آية اللّه الحاج السيد أحمد الكربلائي، وآية اللّه الحاج الشيخ محمد حسين الأصفهاني الكمباني، بقلم سماحة آية اللّه الحاج السيد محمد حسين الطهراني (بتلخيص وتصرّف جزئي منّا) من ص ١١-٥٠ في كتابه الذي أسماه «توحيد علمي وعيني».**

نُقِل عن أحد طلاّب النجف الأشرف - كما في هذا الكتاب المشار إليه [*] (● توحيد علمي وعيني در مكاتيب حِكمي وعرفاني: للسيد محمد حسين الحسيني الطهراني)- والذي كان لديه ذوق والمسمّي بالشيخ اسماعيل التبريزي، يكتب رسالة للشيخ فخر المحقّقين وشيخ الفقهاء والمجتهدين الآخوند الخراساني، ويذكر فيها بيتين من كتاب منطق الطير للعطّار النيسابوري ويسأله عن معنى البيت الثاني والبيتان هما:

دائماً اوبادشاه مطلق است — در كمال عز خود مستغرق است
او به سر ناید زخود آنجا كه اوست — كي رسد عقل وجود آنجا كه اوست

ومعنى البيتين هو:

دائماً هو الملك المطلق — مستغرق في كمال عزّه
هو لا ينتهي في نفسه «هناك هو موجود» — متى يصل عقل الوجود إلى ما «هناك هو موجود»

أمّا الآخوند الخراساني فيجيبه جواباً لا يتجاوز ثلاثة أسطر مدعياً، إنّ المقامَ لا يستوعب الإطالة، فيُجيبُ قدّس سرّه بما يلي:

**جواب الآخوند الخراساني لسؤال الشيخ اسماعيل التبريزي:**

بناءً على أنّه سبحانه وتعالى قائمٌ بذاته لا يمكن أنْ يَحْجبَهُ حاجب، وعليه، القوة العاقلة والخيالية للإنسان لا تصل إلى المرتبة التي هو فيها ولا تُدركها، لإنّ في تلك المرتبة لا يوجد شيء غير ذاته المقدّسة. كان اللّه ولم يكن معه شيء، وهو الآن كما كان، ولا يشغل به مكان. (محمّد كاظم الخراساني).

**ماذا فعل الشيخ اسماعيل بجواب الآخوند:**

أمّا الشيخ اسماعيل فلا يكتفي بهذا المقدار، بل يطرح نفس السؤال مكتوباً على العَلَمين

فـي بحث التوحيد القائلة بأن الصفات الثبوتية عين ذات الحق سـبحانه وتعالى، وفي قباله السّـيد أحمد يجيب عن السـؤال بما يناسب مسلك التوحيد العرفاني الذي يرى بأنّ الذات المقدسـة فوق كل اسم ورسم، وعلى هذا الأساس فالبيت المعنيّ به السؤال يطرح هذه الفكرة بأنّ الأشياء ليس لها سبيل لمقام الذات، والعقل لا قدرة له لإدراك ذاك المقام، لأنّه قبل وصوله لذاك المقام المنيع يفنى ويضمحلّ.

وعلى أيّ حال عندما يرى الشـيخ اسـماعيل التعارض بين الجوابين، يأتي بجواب السّيد للشيخ، والشيخ بعد مطالعته للجواب يكتب مكتوباً في ردّه، فيأخذ الشيخ إسماعيل ردّ الشيخ ويعطيه للسّـيد، والسّـيد بعد مطالعته ينقضه ويكتب ردّاً مفصّلاً ومستدلاً عليه، يتطرّق فيه لمطالب عديـدة، ويطرح فيه توحيد الخواص، الذي هو كمال توحيده نفي الصفات عنه، بل السـيد يفتح الباب لبيان اختلاف مذهب العرفاء والحكماء في كثير من الموارد.

وهكذا يتّسع البحث والنقاش بين الأيتين، حيث يُطلع الشيخ على ما كتبه السّيد ويكتب عليه ردّاً ثالثاً، وأيضاً يأتي الشـيخ اسماعيل ويعطيه للسيد الكربلائي، والسيد يكتب شيئاً في نقضه وهكذا هلمّ جرّا فإنّه تكتب أربعة عشـر رسـالة في هذا المجال، سـبعة منها للشيخ والسبعة الأخرى للسّيد.

والـذي يلفت النظر، هو أنّ الشـيخ الأصفهاني يتمسّـك بالبرهان لإثبات مدّعاه، أمّا السّـيد الكربلائي فهو يتمسّك إضافةً للبرهان بالذوق والشهود والوجدان.

لكن الذي يجب أن نبيّنه أنّه كلا العَلَمين لم يُقصّرا في أداء حق المطلب.

وها هي جهود ومسـاعي الشـيخ إسـماعيل، حيث أنّه احتفظ بهذه المكاتبات بل احتفظ ببعض رسائل آية اللّه العظمى سند الحق والعرفان الآخوند ملا حسينقلي الهمداني، وإضافة لذلك اهتمّ الشيخ إسماعيل بجمع رسائل من العارف البارع الشيخ محمد البهاري، الذي كان زميلاً للسيد أحمد الكربلائي في درس الآخوند الهمداني.

وممّا ينبغي الذكر بأنّ السّـيد الأستاذ العلامة الطباطبائي كان يخصّص يوم الخميس والجمعة لتدريـس هذه المكاتبات، وكان رحمة اللّه عليه ما خطر بباله المبارك ملاحظة على المكاتبات إلاّ وقد كتبها، وبعد ذلك جمعها في مجموعة وأسماها بتذييلات ومحاكمات.

لكن مع الأسف الشديد المشغلة الكثيرة، والاجل المحتوم لم يدعا لسّيدنا الأستاذ إلاّ التذييل على سـت رسائل، ثلاثة تذييلات على مكاتيب الشـيخ، وثلاثة منها على مكاتيب السّيد. فسألني بعض أصدقائي أن أتابع البحث، واستمر بالتذييلات فبحمد اللّه أكملتها وألحقت بها مقدّمة وتعليقة ووضعتا بين يدي العموم.

تنويه: هذه الترجمة نقلناها عن المرحوم آية اللّه السيد محمد حسين الحسيني الطهراني في

بسم الله الرحمن الرحيم

# المكاتبة الأولى

## للشيخ الأصفهاني الكمباني قدّس سرّه

أجاب رحمه اللّه تعالى بالقول: إنَّ الذات الواجبة من حيث ذاته هي صرف الحقيقة الوجودية، ومنزَّهة عن الحدود الوجودية والعدمية والماهويّة. وكلُّ ما كان من صفة كمالية والتي ترجع إلى عين الحقيقة الوجودية، فإنّه يُطلق عليها صفةٌ ثبوتية.

وهي عين ذات الواجب مِثْل العلم والحياة والقدرة وغيرِها، وما كان من صفةٍ مَرْجعها إلى نفي الحدود الوجودية أو الماهوية أو العدمية فإنّه يُطلق عليها الصّفات السلبية، وهي من لوازم الحقيقة المحضة والوجود الصرف، مثل نفي صفة «لا وجود» ونفي الجوهرية والجسمية وغيرها.

ثمّ يقول رحمه اللّه: إذن المنشأ في عدم وصول العقل لذلك المقام المنيع للواجب تعالى، هو عدم محدوديته بالحدود، ولأنّ هذه المقدّمة صارت معلومة فنقول:

إنَّ الصّفات السلبية هي الصّفات الجلالية للواجب، وصفات الجلال حجاب الجمال الأقدس له تعالى، وهي أجلّ من أن تحيط بها العقول

لأنّه قد بيّن في أنَّ الواجب تعالى مُسْتغرق في كمال عزّه، أي غرضه أنه استغرق في صفات العزّ والجلال، والتي ترجع إلى صرافة الوجود ومحض الحقيقة، لذا قد بيّن في الشعر الثاني أنّه تعالى إذا كان مُسْتغرِقاً في عزّه وجلاله ولم يخرج منه، إذن كيف يمكن للعقل أن يصل إلى مقامه الشامخ، لأنَّ وصول العقل لا يكون إلاّ بالإحاطة بالواجب بنحو الإحاطة الوجودية، والمفروض أنَّه تعالى واجب، والواجب غير محدود فلا يكون محاطاً.

جمالُك في كلِّ الحقائقِ سائرٌ  وليس له إلا جلالُك ساترُ

انتهى ما سجّله الشّيخ الكمباني رحمه اللّه المتعال.

## المكاتبة الأولى

## للمرحوم السيّد أحمد الكربلائي قدّس سرّه

إنّ الغرض من الشعر، هو إقامة البرهان على عدم بلوغ العقل ذلك المقام الشامخ له جلّ وعلا بالطريق اللمّي، بمعنى الاستدلال عن طريق العلّة على المعلول.

ولأنَّ المقرّر في محلّه: إنَّ الوجود العلمي للأشياء هو بالإضافة الإشراقية العلمية للحقّ جلّ وعلا. ومن المعلوم أيضاً: عدم العلة علّة على عدم المعلول. وحاصل معنى الشعر: هو أنّه جل وعلا في مقام عزّه الشامخ لا يرى إلا نفسه ولا يُدرك غيرها. ولم يخرج عنها، وهذا هو علَّة عدم الأشياء في ذلك المقام المنيع.

قال عليّ بن الحسين عليهما السلام:

**وَاسْتَعْلَى مُلْكُكَ عُلُوّاً، سَقَطَتِ الأشْيَاءُ دُونَ بُلُوغِ أمَدِهِ، وَلاَ يَبْلُغُ أدْنَى مَا اسْتَأْثَرْتَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ أقْصَى نَعْتِ النَّاعِتِينَ. ضَلَّتْ فِيكَ الصِّفَاتُ، وَتَفَسَّخَتْ دُونَكَ النُّعُوتُ، وَحَارَتْ فِي كِبْرِيائِكَ لَطَائِفُ الأوْهَامِ. فَلا يُدْرِكُهُ وَلاَ يَرَاهُ إلاَّ هُوَ، وَلاَ يَعْلَمُ مَا هُوَ إلاَّ هُوَ.**

إذن، كيف للعقل فضلاً عن غيره أن يستطيع الوصول إلى ذلك

ذلك المقام حتماً مقضياً.

ثُمَّ يقول: إذا كنتَ أنتَ القابضَ للروح، فأيّ شـــخص لا يُسلّم الروح ونحن أيضاً معك نريـــد معرفتك، ونريد أيضاً أن نراك، ولكن لا يرى أنتَ إلا أنتَ، ولا يَعرف مَن أنتَ إلاّ أنتَ، بك عرفتك وأنتَ دَلَلْتني عليك ودعوتني إليكَ، ولولا أنتَ لم أدرِ ما أنت.

انتهى ما سجّله السّيد الكربلائي رحمه اللّه تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

# المكاتبة الثانية

## للمرحوم الشَيخ الكمباني قدّس سرّه

قبل البدء بعرض جوابه نشير إلى أنّ مرحلة النّقاش الشديد بدأت بالتحديد -هنا في هذه المكاتبة وما بعدها- من ردّ الشيخ الأصفهاني على بيان السّيد الكربلائي في المكاتبة الأولى.

■ **بيان الشَيخ في مكاتبته الثانية:**

أقــول: العلم الذاتي للواجب -الذي هو عنــد أهل الحقّ- هو عين ذاتــه، ومقدّم على وجود الأشــياء في الخارج، وعــن مبادي وجودها خارجــاً. ولا يُعقل أن تكون إضافة إشــراقية للحقّ جلّ وعلا. بل هي إضافة إشراقية علمية للواجب، العلم واجب في مقام الفعل، الذي هو بيان فعل وفيض الحقّ تعالى.

وكيف هي فعله؟ ووجودات الأشــياء هي عين الارتباط بذاته، حيث لا حضــور أقوى من هذا الرابط الذاتــي، ويُطلق عليه العلم في مقام الفعل، ولأنّ فيض الحق تعالى له شــبه بالإضافــة المقولية، من جهة قيامه بالمبــدأ الأعلى، وتذوّت الذوات بنفســه، يُطلق عليه بالإضافة الإشراقية.

مقام ذاته بالأشياء. بل يرى ذاته ومن طريق رؤية ذاته حيثُ إنّه بسيطُ الحقيقة وكلُّ بسيط الحقيقة جامع لجميع الكمالات، يرى مصنوعاته، ولـذا قيل: مبدأ الكلّ ينالُ الكلَّ من ذاتـه. وليس للواجب تعالى مقام الفناء مثل مقام السالك، حتى يتصوّر أنّه في مرحلة الاستغراق والفناء في اللّه لا يُرى إلاّ الحقّ.

وأمَّا مسـألة «وكمالُ الإخلاص له نفيُ الصفات عنه» فإنّها لا تكون شاهداً للمدّعى، بل المراد هو نفي الصفات الزائدة، كما يدلّ عليه ما بعده، حيث قال عليه السلام: «لشهادة كِلّ صفةٍ أنها غيرُ الموصوف».

أو المراد مقام المشاهدة للسالك، الذي هو أقصى مراتب شهود الذات بذاته على وَجْه التجرّد عن مشـاهدة صفاته. بهذا المعنى حيث تكون المشاهدة تارةً في شهود صفاته، وتارةً أُخرى حيث تكون المشاهدة في شـهود ذاته. والثاني أقوى -أي تكون المشاهدة في شهود ذاته- وعلى أيّ حال لا دلالة على أنّ الذات تعالى في مقام الذات لا يرى إلا نفسه. وهكـذا هو حديث عالمٌ لا معلوم. لأنّه المعلوم بالذات هي نفس الذات المقدّس، وغيره يُعلم به كما عرفت.

وثالثاً: الكلام -في الواقع- في وصول العقل بعد وجوده في الخارج إلـى الواجب تعالـى، إذن لا يصير أنّ علّة عدم وصـول الموجود في الخـارج هي عدم علم الحـقّ تعالى في مرتبة ذاتـه إلاّ بذاته. انتهى

لقول الإمام سرّ التوحيد وجوهره صلوات اللّه عليه، في «وكمال الإخلاص له نَفْي الصفات عنه»، في ثاني البيانين والذي قوّاه وهو (أن تكون المشاهدة في شهود ذاته) إنّه أغرب ما طَرَق عالَم الإمكان، وَدَكَّ مسامِعَ الآذان وهزَّ المشاعر والوجدان، وَقَلَبَ القراطيس والميزان «والسماءَ رفعها وَوَضَعَ الميزان، ألاّ تطغوا في الميزان، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تُخسروا الميزان» وذلك لأنّ المتسالم عليه فيما بين الحكماء وعلماء العرفان، أنّ الذات يستحيل معرفتُها ومعرفة كُنه حقيقتها، وفي النّصوص الصريحة ما جاء «لا تُفكّروا في ذات اللّه» وجاء أيضاً عن سرّ الحكمة عليهم السلام «ومَنْ رام وراء ذلك فقد هَلَك» وكذلك قولهم أرواحنا فداهم «ولا في المسألة عنه جواب». وفي دعاء الصباح على لسان أمير المؤمنين عليه السلام «يا من دلّ على ذاته بذاته وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته». وعلى هذا فمَن الشاهد ومَن المشهود؟ وليس في مورد ذاته إلا ذاتُه، فإذا كان الكلام محظوراً والتفكّرُ ممنوعاً، لعدم المناسبة بين ذاته التي ليس في موردها إلا ذاته وبين مخلوقاته، فكيف ساغ القول وجاز الكلام في المشاهدة بعد نفي صفاته واضمحلالها في طريق السالك، فإذا كانت هذه الفلسفة وهذه مبانيها فلا نقول إلاّ لا حول ولا قوّة إلاّ باللّه، إلهي لا تَكِلْني إلى نَفْسي طرْفةَ عينٍ أبداً والحمدُ للّه أولاً وآخراً.

## المكاتبة الثالثة

## للمرحوم السيّد الكربلائي رحمة اللّه عليه

في هذا المقام، أودّ الإشـــارة إلى أنّنا ننقل جواب السيّد الكربلائي في مكاتبته الثالثة، باعتبار كونها محلّ الشـــاهد وموطن الدلالة على مـــا نحن فيه، ولئلاّ يطول بنا الـــكلام في المكاتبات، ونُوكِل تفصيل كلّ مـــا ورد منها فـــي محلّ آخر. وفي ما ســـجّله الســـيد الكربلائي هنا محلّ النظر لأهميّته، ولذا سنقتصر على أهمّ المطالب مُختصرين قدر الإمكان، ونُحيل القارئ البصير والباحث الخبير إلى الرجوع إلى متن المكاتبات ففيها ما يفيد، وإن كان للتأمّل والنّظر والمناقشة فيها مجالٌ واسع. فقد جاء في جوابه ردّاً على ما سجّله الشيخ الاصفهاني:

أولاً: يَنقل كلاماً لبعض المتألّهين، ويقول: والعلم عند اللّه ســـبحانه وتعالى: إعلم أنّ طريقة ذوق المتألّهين هي هكذا: إنّهم يرون أنّ الوحدة هي الحقيقة، وأنّ الكثرة هي اعتبارية. ويرون كذلك أنّ جميع العوالم غير المتناهية، وحقائق جميع الأشياء من البدء إلى الختم، حتّى الأسماء والصفات بما هي أسماء وصفات هي أُمورٌ اعتبارية ولحاظية. وحضرة الحقّ جلّ وعلا هو فاعل الاعتبار واللحاظ أو وسائط فيضِه بالاعتبار، والتي ترجع في الحقيقة إليه جلّ وعلا، ويُعبَّر عنها بتجلّياته وظهوراته

الأشياء.

والتعبير بالاضافة الإشراقية باعتبارها في نفسها، وكذلك بالوجودات الخاصّة للأشياء باعتبار اضافتها إلى الأشياء. والملحوظ والمنشأ للصدور والتعيّنات، أسماؤه وصفاته وشؤوناته التي هي محدودة بهذا اللحاظ، والتي يُعبّر عنها «بالأشياء» وذلك باعتبار تعلّق اللحاظ والمشيَّة بها.

فبمطالعته لصفاته وأسمائه تكون الأشياء -روحي الفداء لطلعته ومطالعته-، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[1]، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾[2]. «ألا كلُّ شيء ما خلا اللّه باطل»، فالحقّ حقٌّ والخلقُ خلقٌ، هذا هو كيفيَّة خلق الأشياء، ولكنّ الخالق هو اللّه، فافهم إن كنتَ من أهله.

ثانياً: ومِن هذا تعرف: أنّ معنى الخلق هو التقدير، إذْ قد عرفت أنّ تحدّد الأشياء ومقاديرها بنفس لحاظه واعتباره ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[3]، وهذا معنى: «خلق اللّه المشيئة بنفسها وخلق الأشياء بالمشيئة».

---

(١) سورة الحج: آية ٦٢.
(٢) سورة النجم: آية ٢٣.

حدوثٌ مسبوقٌ بالعدم الغير المجامع للوجود لا بمجرّد السّبق الذاتي.

ويقول رحمه اللّه: باختصار لكن إذا لم يُلحظ الوجود معه أيّ لحاظ -حتّى الاطلاق فضلاً عن التقييد، بل حتّى بلحاظ لا بشرط عن الاطلاق والتقييد، فإنَّ اللحاظ والاعتبار بأيّ وجهٍ كان حتّى لحاظ اللابشرطية من الإطلاق والتقييد، فضلاً عن الإطلاق، فضلاً عن التقييد، ولو بالأسماء والصفات بما هي أسماء وصفات - أمر زائدٌ على الوجود وخروج عن الصرافة والمحوضة إلى التقييد، ولو بالاعتبار الذي قد عرفت أنّه ملاك لما سواه. ويُعبّر عن تلك المرتبة بـ(مقام الذات وغيب الغيوب)، نعم بملاحظة لكلّ واحد من الأسماء والصفات جمعاً وفرادى، وبتلك الملاحظة سوف يكون الوجود الخاصّ للاسم والصفة، وإذا يَلحظُ نفسَه بشرط أن لا يكون معه شيء، نفس اللحاظ سيكون وجود الاسم (أحد). والذي يُعبرّ عنه بـ«مقام الأحديَّة».

وإذا يَلحظ نفسَه بشرط جميع الأسماء، فذلك اللحاظ سيكون وجود الاسم «الواحد» والذي يُعبّر عنه بـ «مقام الواحدية»، وإذا كان لحاظه لا بشرط، فهذا اللحاظ سيكون وجود «الاسم الأعظم الإلهي». والذي يُعبّر عنه بـ «المقام المحمدي ﷺ والذي هو الجامع ما بين مقام الأحدية والواحدية، وغاية سير الإنسان الكامل الذي يُعبّر عنه بـ«مقام ختم النبوة». والذي لا يكون لأحد ما بعد ذلك عن مقام الذات خبرٌ،

عنها «بالأسماء» مثل «الأحد» و«الواحد» و«العالم» و«القادر» وإذا تُلحظ وحدها فإنّه يُعبّر عنها بالصفات مثل «الاحدية» و«الواحدية» و«القدرة» و«العلم».

وبهذا اللحاظ وُجدت العوالم غير المتناهية لصفاته وأسمائه وشئونه الغير المتناهية، وباللحاظ هذا يُعبّر عنه بـ «عالم الأسماء والصفات».

ويقول والحقَّ يقول[1]: ومن هنا يعلم أنّه لا مصداق مطابق لتلك المفاهيم المحدودة، إلاّ بهذه اللحاظات والاعتبارات المحدودة. والذات غير المحدودة لا يمكن أن تكون مصداقاً ومطابقاً وما به إزاء وحذاء المفاهيم المحدودة، تعالى شأنه عمّا يقول الظالمون عُلوّاً كبيراً. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[2].

سواء كان الكلام في حمل الهوهويّة الذي هو في الذاتيات. وبهذا الحمل لا يمكن حَمْل العِلْم على الذّات الأقدس ولا حَمْل العالِم عليها.

**ويقول السّيد الكريلائي قدّس سرّه القدوسيّ: نعم إذا ما أُلغيت الحدود الأسمائية والصفاتية، إذن فلا يبقى ثانٍ غير الذات. وحينئذٍ يمكن حمل هوهو، فالذاتُ ذاتٌ. وعليه فلا يمكن إطلاق اسم العلم والقدرة على ذلك اللامحدود أي «الذات»**[3].

---

(١) توحيد علمي وعيني ص ٧٤.

لا كالعلـــوم» وغيرها، هـــو متعارف في مقام إفهـــام العجزة والجهلة. **وهـذا هو المراد من عبارة، علـمٌ كلّه، قدرةٌ كله، يعني أنّ الذات هي أصل أصل العلم، ومُوجِد العِلْم لا كسائر العلوم، كيف؟ وبه صار العلم علماً وصارت القدرة قدرة.**

إلى أن يقول: ومن هنا يعلم أنَّ مناط كمال الذات الواجب هو نفس الـــذات بذاته بـــلا جهة ولا كيف. إذن المراد هو أنّـــه إن كان في غيره تُطلق هذه الأســـماء، فهو بنفس ذاته من دون اسمه. سبحان الله! إذا كان اشـــتمال شـــيء على ما دونه بنحو مـــا دون، التي تعني بحدوده، فإنه ســـوف لا يكون بســـيطاً وهذا أســـوء التراكيب، بل سيكون أسوء التركيبات من الحدود العدمية.

وأســـوء من هميان «مُلاّ قطب». ولهذا أُطلقت الأسماء على الأنبياء والأئمّة عليهم الســـلام، حيث ورد فـــي أخبار وأدعية كثيرة والتي هي من هذا الباب مثل «**وبِطَلْعتك في ساعِيرَ وظهـورك في جَبَلِ فآران**»، كما في دعاء السّمات، والذي يُراد به الوجود المقدَّس للأنبياء. وكذلك ما ورد «**السَلام على اسم الله الرضيّ**» الذي ورد في الزيارات، بل وفي بعض الأدعية قد ورد «**وباسْـمِكَ الذي خَلَقْتَهُ من نَفْسـك فلمْ يَخرجْ منكَ أبداً**». وكذلك في الأدعية الكثيرة الواردة، منها: «**وباسْمِكَ الذي خَلَقْتَ به الشَـمسَ، وباسْـمِكَ الذي خَلَقْتَ به القَمَر، وباسْـمِكَ الذي خَلَقْتَ به اللّيلَ، وباسْمِكَ الذي خَلَقْتَ به النّهار**» وهكذا[1].

الثالثة، مُسْتغرِباً منه فيما ذكره ومناقشاً له فيما رَقمِه هناك، فقال:

**قوله أي قول الشَيخ رحمه اللّه:** اعلم أنَّ صرف حقيقة الوجود، إذا يُلحظ بنفسه بشرط أن لا يلاحظ معه شيء حتى ما اندمج فيه من حقائق الصفات، أو ما كان لازماً لذاته من عناوين الأسماء والصفات والأعيان الثابتة، هذه المرتبة يُطلَق عليها مرتبة أحدية الذات، وغيب الغيوب، والهويّة المطلقة، وجمع الجمع، وحقيقة الحقائق إلى غير ذلك من الألقاب.

**يردّ عليه السيّد: أولاً هذه المرتبة تُلحظ لا بشرط حتى من اللاشرطية. وثانياً: سبحان اللّه، أليس «الأحد» و«الواحد» من الأسماء.**

وقوله رحمه اللّه: وأحياناً يُلحظ صرف حقيقة الوجود بما هو جامع لحقائق الصفات بنحو الجمع والاندماج، فهو مرتبة أحدية الجمع، لأنّ المفروض ملاحظة الذات على ما هي عليه من استجماعه لحقائق الصفات بنحو الجمع والوحدة. من دون تميّز صفة عن صفة، وهذه المرتبة بالذات لا تختلف مع المرتبة السابقة، بل اعتبارات مختلفة، وإلاّ فإنَّ الذات الأقدس بذاته مصداق جميع النعوت الكمالية ومطابق جميع الصفات الجمالية والجلالية بنحوٍ قال الأكابر: وجودٌ كلّه ووجوب كلّه وعلمٌ كلّه قدرة كلّه [1].

«أحدية الجمع» هي مرتبة الواحدية، ومرتبة أحدّية الجمع هي الملحوظ بشـــرط اللابشـــرطية وهو مقام الحقيقة المحمدية كما عرفت[1]. وإن شئت راجع ما أورده عليه.

أقول: وإن تعجب فعجب قولهم «وما عشـــت أراك الدهر عجباً» ما بيَّنه بصريح العبارة، لا مجاز ولا استعارة، من قول الشّيخ الكمباني طاب ثراه : وأما المرتبة الثالثة[2] التي هي مرتبة امتياز الأســـماء والصفات بعضهـــا عن بعض ، والتي يُطلق عليهـــا بـ«الفيض الأقدس» والتي هي من لوازم الذات الأقدس، ويُقال عنها بالمرتبة الواحدية التي هي قبال الكثرة، وتكون انتشـــاء الكثرة بملاحظة هذا المقـــام. إذن هذه المرتبة هي من لوازم المرتبة الســـابقة. وتكون الملازمـــة بينهما نظير التلازم بـــين الوجود والماهية لا بنحو التلازم بين وجود ووجود آخر. ثمّ يقول: فلـــذا الحقيقة في مرحلة الذات هي بنفس الذات، ويكون العنوان في مرحلـــة متأخّرة عن الذات ولازماً للـــذات، وهكذا الحال في الأعيان الثابتة سواء رأينا أنَّها من لوازم الذات، أو رأينا أنَّها من لوازم الأسماء والصفات.

علـــى أيّ حـــال فهي لا تكـــون موجودة فـــي هذه المرتبـــة بالوجود الاستقلالي، بل تبعاً لوجود حقائقها المندّكة في حقيقة الذات الواجبة

---

(١) نفس المصدر: ص ٨١.

بالضعيف من نسخه. وينتهى في هذا المقام بالقول:

إذن ظهر ممَّا ذكرنا أمور:

منها: الحقيقة هـي أنَّ العلم الكمالي هو ذلك العلم الذاتي، ومقام الجمع وجمع الجمع، تفاوتهما يكون بالاعتبار لا بالذات، انتهى كلامه رُفع مقامه.

**ويردّ عليه السيد الكربلائي بقوله: ولكن إطلاق العلم عليه هو على سبيل التوسّع والتجريد، لأنّه لا اسم ولا رسم لمرتبة الذات وإلاّ لزم الخُلْف، فلا تَغْفل.**

قال الشّيخ رحمه اللّه: ومنها، هو أنّ حقائق الصفات ليست محدودة بل هي عين حقيقة الواجب، وصرافتها بنحو صرافة وجود الواجب، قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المباركة: ليس لصفته حدٌّ محدود، وما قاله في آخر كلامه: «وكمالُ الإخلاصِ له نَفْيُ الصّفاتِ عنه» نفي يكون بنحو الامتياز والمباينة، ذلك لأنّه يقول عليه السلام بعد هذه الفقرة: «لشهادة كلِّ صفةٍ أنّها غير الموصوف وشهادة كلِّ موصوف أنّه غيرُ الصفة».

وفي مقام الردّ عليه يقول السيد الكربلائي رحمه اللّه: سبحان اللّه! إنّ حضرة الإمام عليه السلام يستدلّ على أنّ الصفتيّة تقتضي الامتياز، فإن كانت -كما تقول- العينيّة فليست بصفة، حتى ولو فُرض أنّ

«لشـــهادة كلّ صفةٍ أنّها غير الموصوف، وشـــهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة».

ويقول الشـــيخ قدّس سرّه: بعد ســـرده خطبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهذا هو أول التوحيد، لا كمال التوحيد والاخلاص...الخ.

فيجيبه السيد قدّس سرّه بالقول: وهذا المعنى الدقيق - أي وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه وما يتعلق بهذه الفقرات الشـــريفة- لا يفهمه غالبُ الموحّدين.

وأخيراً وليس آخراً يصرّح الشّيخ الكمباني بالقول:

هناك حيث يكون مقام الأسماء والصفات متأخّراً عن مقام الجمع، ضـــرورة تأخّر كلّ فـــرق عن الجمع، بل إنّ مقام الاســـتجماع لحقائق الصفات متأخّر عن مقام غيب الذات، ومتقدّم على مرحلة الأســـماء والصفات بما هي أســـماءٌ وصفات، بل مقام جمع الأسماء والصفات والذي هو مرتبة «اللّه» أيضاً مقدّم على مرتبة الأســـماء والصفات بما هي متميّزة ومتفرّقة، ولذا كان أمَّ الأسماء.

ويجيبه السّـــيد الكربلائي ببيان، ردّاً على ما أفاد فيقول: بلى هكذا ولكن قد علمتَ المرتبتين الســـابقتين المذكورتين، هي أيضاً كانت مقام جمع الأسماء والصفات لا مقام الذات، وإلاّ فإنّ مقام «الواحد» ومقام «الأحد» ألم يكونا من الأسماء والصفات، بل إن تلك المرتبتين متأخّرتان

وذلك العالم الجمعي هو متأخرٌ عن عالم الأسماء والصفات، والمعبَّر عنه بـ«عالم جمع العقول والنفوس» الذي هو آخر مرتبة عالم الخلق في قوس الصعود، وأول مرتبة كان في قوس النزول. ولهذه الجهة وبهذا المعنى اعتبرتُها متأخّرة، حيث يقول الشيخ العطّار النيشابوري: «متى يصل عقل الوجود «هو هناك موجود». إذن هو استدلَّ بفناء المرتبة السابقة على فناء المرتبة اللاحقة استدلالاً بانتفاء العلة على انتفاء المعلول. انتهى الكلام فيما أفاده العَلَمان، وقد تبيّن لك -إن كنتَ متأمّلاً- ما وقع فيه الشّيخ الكمپاني قدّس سرّه من الخلط بين المقامات الآسمية وبين الذات المقدّسة عن كلّ اسم ورسم فدقّق، فإنّه من مزالق الأقدام لكثير من الأعلام فضلاً عن سائر الأنام.

وإلى هنا نحط الرحال وننهي الكلام فيما يُقال، لننتقل إلى ما يقتضيه الواقع والحال، ببيان أمرين هامّين:

**الأمر الأول:** قد تبيّن لك عدم صحّة القول فيما ادّعاه السيد الحيدري حفظه اللّه من اتفاق العلماء على أنّ الصفات عين الذات، وذلك بما تقدّم من مخالفة السيّد المغمور وصاحب القلب المعمور القاضي سعيد القمي، والسيّد الفقيه والعلَم النبيه ذي الملكات العالية والمراتب السامية السيد أحمد الكربلائي أعلا اللّه مقامهما ورفع في الخلد أعلامهما.

جازماً، وهو إمَّا أن تكون الصفات التي يدّعي المشـــهور من الفلاسفة وغيرهم أنَّها عين الذات، إمّا أن تكون ممتازةً عن الذات، وإمّا ألاّ تكون ممتـــازة عنها. وكما ترى أيُّها النّاقـــد البصير، فإنَّ الأمر مردّد بينهما بنحو الحصر العقلي الذي لا ثالث لما افترضنا، فإن قلت: إنَّ الصفات لا تمتـــاز ولا تباين الذات، قلنا إذن لِـــمَ عبّرت عنها بـ(الصفات) وهي كما هو واضح جمع الصفة، المشـــعرة بالتعدد ولو مفهوماً، مضافاً إلى أنَّ الذات بما هي هي ليست قابلة للفرض والتصوّر إطلاقاً، لأنّ الذات حقيقتهـــا هي الصفات والصفات عينهـــا، فمن أين أتيت بهذا التعبير (الصفات) المشـــعر بالتمايز ولو مفهومـــاً، ألا ينبغي أن نتعبّد بما ورد من ناحية سرّ الحقائق ومعدن الرسالات وخزّان العلم وأركان التوحيد والمثـــل الأعلى، في قولهم «لم أحدّه ولكنّي أُثْبتُه» وقول ســـرّ التوحيد وجوهره أمير المؤمنين عليه السلام في قوله «ووجوده إثباته».

وإن قلـــت، بـــأنَّ الصفات تمتاز عـــن الذات، فهذا هو أســـوء أنواع التراكيب والتجزئة، بل أســـوء من هميان ملاّ قطب كما يقول السّـــيد الكربلائي، ويُرّد بالكلمات العَلَويّة والعبارات العِلْوية فاســـتمع لما يُتلى عليك من ســـرّ الجواهر وجوهر الأســـرار الإمـــام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يقبل التقييد ولا التأويل، وهو على إطلاقه ينسف مطلق هذه الأقوال الواردة على ألسنة الحكماء وغيرهم من الواصفين والناعتين، سواء منهم مَن كان قائلاً بالعينية، أو مَن كان قائلاً بالزيادة، وسواء مَن

**بـه تَوْحيـدُهُ، وَكَمَـالُ تَوْحيده الإخْـلاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الإخْـلاص لَهُ نَفْيُ الصِّفَـات عَنْـهُ، لشَـهَادَة كُلِّ صفَـة أَنَّهَـا غَيْـرُ الْمَوْصُـوف، وَشَـهَادَة كُلِّ مَوْصُـوف أَنَّـهُ غَيْـرُ الصِّفَة، فَمَنْ وَصَفَ اللّهَ سُبْحَانَهُ فَقَـدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَـهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهلَهُ، وَمَنْ جَهلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إلَيْه، وَمَنْ أَشَارَ إلَيه فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ قَالَ فيـمَ فَقَـدْ ضَمَّنَهُ، وَمَـنْ قَالَ عَلامَ فَقَـدْ أَخْلَى منْهُ، كَائـنٌ لاَ عَنْ حَدَث، مَوْجُودٌ لاَ عَنْ عَدَم، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لاَ بمُقَارَنَة، وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لاَ بمُزَايَلَة، فَاعـلٌ لاَ بمَعْنَـى الْحَرَكَات وَالآلَـة، بَصيرٌ إذْ لاَ مَنْظُـورَ إلَيْه منْ خَلْقه، مُتَوَحِّدٌ إذْ لاَ سَكَنَ يَسْتَأْنسُ به، وَلاَ يَسْتَوْحشُ لفَقْده.**

وبعدمـا عَرَضْناه من مكاتبـات وبيّناه من آراء، نعـود إلى ما كتبه السيّد الحيدري:

ثمَّ يُكمل في ص١٢٥: على أنّ هذه الصفات الثلاث (الحياة والقدرة والعلـم) ترجع عند التحليل إلى صفة واحدة هي الحياة، فالحياة هي منشـأ العلم والقدرة، وهـذه الصفة تجمع في تكوينهـا كلّ الصفات الذاتية. فإذا ما صار الموجود حيّاً فسيكون عالماً وقادراً جزماً، وإذا ما صار عالماً فهو سميع بصير، وإذا صار قادراً فهو مريد ومتكلم (انتهى كلامه) [1].

صفـــات ذاتية أي عين الذات، وعلى هذا فإنّـــه يُنقَض عليكم بالقول، أليس قد قلتم باســـتحالة معرفة كُنْه الذات، وأنتم قرَّرتم أنَّ الصفات عين الذات، فإذا كان المســـتحيل حاكماً في كُنْه الذات، فإنَّه لا محالة حاكـــمٌ ونافذٌ في مورد الصفات، فكيف نُرْجِع هذه الصفات من خمس إلـــى ثلاث ومِن ثَـــمَّ إلى صفةٍ واحدة بما أســـميتموه التحليل العقلي؟ فبأيّ دليل نقليّ اســـتندتم وعلى أيّ دليلٍ عقلي اعتمدتم؟ وكيف ســـاغ للعقل أن يُحلِّل؟ أمْ متَى خَضَعتْ الذات وصفاتُها للمختبرات والتحليلات العقلية؟ وكيف نجعل الخوض في المستحيل ساحة للتحليلات العقلية، وهـــذا مخالف لقول أمير المؤمنين عليه السلام: يا من دلَّ على ذاته بذاته، ولم يقل بصفاته أو أسمائه أو مخلوقاته؟ لأنّ الدلالة على الذات لا يمكن أن تكون في مورد التعقُّل أو التفكّر، وهذا ليس تعطيلاً للذات كما تتخيَّلون. إنَّما هو إثبات عمّا تَصِفون، **فالمعطّل يَنفي ونحن ننزّه وهذا هو المذهبُ الحـقّ**، فروايات الأئمّة صلوات اللّه وسلامه عليهم مستفيضة في عدم جـــواز التفكّر في الذات، فكيف إذا وصلت النوبة إلى الكلام الذي يأتي بمرحلة ثانية بعد التفكّر؟ وإليك ما يَشْـــفي العليل ويَرْوي الغليل مِن ما ورد عن آل محمّد عليهم صلوات الربّ الجليل.

كما أوردها الشّيخ الثّبت الثّقة الكلينيّ طاب ثراه في الكافي الشريف، فتمعّن كلمات الحقّ النافية كلَّ أشـــكال التفكّـــر والتوهّم والكلام عن الذات، واللّه الموّفق للصّواب بمَنّه ولُطْفه.

## باب النهي عن الكلام في الكيفية

١ - محمّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن أبي بصير قال: قال أبوجعفر عليه السلام: تكلّموا في خلق اللّه، ولا تتكلّموا في اللّه فإن الكلام في اللّه لا يزداد صاحبُه إلاّ تحيّراً.

وفي رواية أخرى عن حريز: تكلّموا في كلّ شيء ولا تتكلّموا في ذات اللّه.

٢ - محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن أبي عمير، عن عبدالرّحمن بن الحجّاج، عن سليمان بن خالد قال: قال أبوعبداللّه عليه السلام: إن اللّه عزّوجلّ يقول: «وأنَّ إلى ربّك المنتهى» فإذا انتهى الكلام إلى اللّه فأمسكوا.

٣ - عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير عن أبي أيّوب، عن محمّد بن مسلم قال: قال أبوعبداللّه عليه السلام: يا محمّد إنّ الناس لا يزال بهم المنطق حتّى يتكلّموا في اللّه، فإذا سمعتم ذلك فقولوا: لا إله إلاّ اللّه الواحد الّذي ليس كمثله شيء.

٤ - عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن حمران، عن أبي عبيدة الحذّاء قال: قال أبوجعفر عليه السلام: يا زياد إيّاك والخصومات فإنّها تورث الشكَّ

كفـوه حتّى انتهى كلامهم إلى اللّه فتحيّـروا، حتّى أن كان الرجل ليُدْعى مِن بـين يديه فيجيبُ مَنْ خلفه، ويُدْعى مِن خلفه فيجيبُ مَن بين يديه. وفي رواية أُخرى: حتّى تاهوا في الأرض.

٥ - عـدّة مـن أصحابنا، عـن أحمد بن محمّد بـن خالد، عن بعض أصحابه، عن الحسين بن الميّاح، عن أبيه قال: سمعت أبا عبداللّه عليه السلام يقول: مَنْ نَظَرَ في اللّه كيف هو؟ هلك.

٦ - محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن فضّال، عـن ابن بكير، عن زرارة بن أعين، عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: إنّ مَلكاً عظيم الشـأن، كان في مجلس له فتناول الربَّ تبارك وتعالى فَفُقِد فما يُدْرى أين هو.

٧ - عـدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن محمّد بن عبدالحميـد، عن العلاء بن رزين، عن محمّد بن مسـلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إيّاكم والتفكّر في اللّه، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه.

٨ - محمّـد بن أبي عبداللّه رفعه قال: قـال أبوعبداللّه عليه السلام: يا ابن آدم لـو أكل قلبك طائرٌ لم يشـبعه، وبصـرك لو وضع عليه خرق أبـرة لغطّاه، تُريد أنْ تَعرف بهما ملكوتَ السـماوات والأرض، إن كنتَ صادقاً فهذه الشـمس خَلْقٌ مِن خلق اللّه، فإن قدرت أن تملأ عينيك منها فهو كما تقول.

بعض أصحابنا، عن عبدالأعلى مولى آل سام، عن أبي عبدالله عليه السلام: قال إنّ يهودياً يقال له: سُبْحت جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله! جئتُ أسألك عن ربّك، فإن أنت أجبتني عمّا أسألك عنه وإلاّ رجعت، قال: سل عمّا شئت، قال: أين ربّك؟ قال: هو في كلّ مكان وليس في شيء من المكان المحدود: قال: وكيف هو؟ قال: وكيف أصف ربّي بالكيف والكيف مخلوق والله لا يوصف بخلقه، قال: فمن أين يُعلمُ أنّك نبيّ الله؟ قال: فما بقي حوله حجرٌ ولا غير ذلك إلاّ تكلّم بلسان عربيّ مبين، يا سُبحت إنّه رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال سُبْحت: ما رأيت كاليوم أمراً أبْيَنَ من هذا، ثمّ قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك رسول الله.

١٠ - عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن يحيى الخثعميّ، عن عبد الرّحمن بن عُتيك القصير، قال: سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن شيء من الصفة، فرفع يده إلى السماء ثمّ قال: تعالى الجبّار، تعالى الجبّار، مَنْ تعاطى ما ثمَّ هلك.

فتدبَّر وتفهّم وصلّى الله على محمّد وآل محمّد وسلّم.

- ويقول في ص١٢٩: فالتعطيل في صفة العلم يتمثّل في نفي معناه تماماً، بحيث إذا ما سُئِل الإنسان عنه أجاب: لا أدري (انتهى).

- ومَن دَرَى عن ذاتهِ يا سيّدنا حتّى يقولَ دريتُ وعلمتُ وعرفتُ؟

أثبتُه، وهو قولهم عليهم السلام، فالتوحيد الخالص: أنْ لا نتوهّمه أي لا نتفكّـر فيه ولا نتكلّم ولا نصف، ولا نقول إنَّ صفاتِه عينُ ذاتِه، عَبْرَ ما يُسمَّى بالتحليل العقلي الذي لا مجال له في مقام الصفات، فضلاً عن التخبّط في تحديد عدد هذه الصفات.

- ويقول في ص١٤٥ تحت عنوان الدليل العقلي: يتبنّى هذا الدليل بكليّاته إلى ما مرَّت الإشارة إليه في بحث التوحيد الأحدي، أنَّ الذات الإلهية بسيطة وهي متوفّرة على كلّ كمالٍ وجمال (انتهى كلامه).

- فما المقصود بكلّ كمالٍ وجمال؟ فهذه الكلية تعني كلَّ ما صدق عليه كمال وجمال، فبأيّ دليل نسبتم كلَّ الكمال والجمال إلى الذات الإلهية؟ ولمَ لم تُرْجِع ذلك كلّه إلى مقام أسمائِه الحسنى وصفاته العليا؟

- وفـي ص١٤٦ في الدليل النّقلي، فيقول: عن هشـام بن سـالم قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال لي: أتَنْعتُ ربكَّ؟ فقلت: نعم، قال: هات، فقلت: هو السـميع البصير، قال: هذه صفةٌ يَشتَرِك فيها المخلوقـون، قلت: فكيف تَنْعتُه؟ فقال: هـو نورٌ لا ظلمةَ فيه، وحياةٌ لا موتَ فيه، وعلمٌ لا جهلَ فيه، وحقٌّ لا باطل فيه، فخرجت مِن عنده وأنا أعْلَمُ النّاسِ بالتوحيد[1].

- هنا لا يَنبغي أنْ نَمُرَّ مرورَ الكرام دون التأمل التامّ، والوقوف عند

ذاتية؟ وهل في النّور إشـــارة إلى أنَّ الصفات عين الذات؟ أليسَ النورُ مخلوقاً؟ وهل صفـــة الحياة من لوازمها النور؟ فالنّـــور مقامٌ تدبيريّ ربوبيّ، وما ذُكِـــرَ في الرواية كلُّها عناوين المُحْدَثِ الأوّل، بلحاظ تعلّقِهِ بالأشياء، وذلك لإنّ الأشياء تشيأت بالمشيئة فتَبصَّر.

- وفـــي نفس الصفحة يذكر هذه الرواية: سُـــئِل أبو عبد اللّه عليه السلام عن التوحيد فقال: هو عزَّ وجلَّ مُثْبت موجودٌ، لا مبطل ولا معدود ولا في شـــيء من صفة المخلوقين، وله عزّ وجلّ نعوتٌ وصفات، فالصفات له وأسماؤها جارية على المخلوقين، مثل السميع، والبصير، والرؤوف، والرحيم، وأشـــباه ذلك، والنعوت نعوت الـــذات لا تليق إلاّ باللّه تبارك وتعالـــى، واللّه نورٌ لا ظلامَ فيه، وحيٌّ لا مـــوت له، وعالمٌ لا جهل فيه وصَمَدٌ لا مدخل فيه، ربنا نوريّ الذات، حيّ الذات عالِمُ الذات، صَمَدي الذات[1].

- مَن قال أنّ المراد بكلمة الذات أنّها الذات، التي لا تُسمَّى ولا تُنْعَتُ؟ ولِـــمَ لا يكون الكلام عن ذلك المحدَث التام الكامل عن أول ما خلق اللّه وهو نور النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله؟ فهذا مقامٌ اسمي قطعاً، لأنَّه يُوضع له اسم ويُخبر عنه فتدبَّر جيداً تَغْنَـــم كثيراً. وأقولُ بضرسٍ قاطع أن لو تأمَّلنا قوله عليه السلام «فالصفات له» لوجدنا أنّ «اللام» في «له» قاضية بأنَّ الصفات عائـــدة له مملوكة خاصّة به، ولـــم يَقُل «فالصفات هو» وبين التعبيرين،

الموروثة عن السادة الأبرار عليهم صلواتُ الحقّ الجبّار.

- وفي ص١٥٧ يقول: على هذا يمكن أن يكون المصداق واحداً لكن المفهوم متعدد، وهذه هي نظرية الإمامية فيما تذهب إليه في الصفات من أنها جميعاً عين الذات، وهي جميعاً بعضها عين بعض في الواقع الخارجي مع تمايزها مفهوماً (انتهى كلامه).

- نرجو من سماحة السيد أنْ يُحلّق النّظرُ فيما كَتبه القاضيّ محمّد بن سعيد القمي[1] في هذا الموضوع، ونقول: أليس المفهوم والمفاهيم لها حظٌّ من الوجود؟ نعم، لا وجود خارجي لها لكن لها وجودٌ ذهني، وإلاّ كيف نُميّز النصّ وكلماتِه في الخطاب واللغة؟ فالتمايز هنا يكون في المفاهيم باعتبار تغايرها ولو ذهناً، ولا يخفى أنَّ الموطن الذهني هو أحد محالّ الوجود فلاحظ. كما لو قلت: العلم- القدرة.

- فما بنَيْتم على عينية الصفات للذات، والتمايز فيما بينها من حيث المفهوم، يستلزم في أدقّ المعاني إلى التركّب، ويؤدّي إلى الخلل في هذه النظرية لمَن جاس خلال الديار في أسرار ومعاني ما ورد من الأخبار والآثار. فدقّق فإنّه من رحيق مختوم. وكذلك يؤدّي لا محالة إلى التعددية في الذات، وهذا ما حذَّر منه أئمّتنا صلوات اللّه

---

(١) انظر شرح توحيد الصدوق، للقاضي القميّ طاب ثراه، فإنّه قد أكثر القول بالبراهين الشافية في الردّ على عينيّة الصفات للذات، في جُلّ شرحه على التوحيد. وكذلك شرحه

ولا تعقد القلوب منه على كيفية، ولا تناله التجزأة والتبعيض [٢] ولا تُحيط به الأبصار والقلوب، وفي خطبة أخرى له عليه السلام: وإنّك أنتَ اللّه الذي لم تتناهَ في العقول فتكون في مهبّ فكرها مُكيَّفاً، ولا في رويّات خواطرها فتكون محدوداً مصرفاً.

- يقول السّيد في ص١٧١: قال الشيّخ الصدوق: إذا وصفنا اللّه تبارك وتعالى بصفات الذات، فإنّما ننفي عنه بكلّ صفة منها ضدّها، فمتى قلنا إنّه حيٌّ نفينا عنه ضدّ الحياة وهو الموت، ومتى قلنا عنه إنّه عليمٌ نفينا عنه ضدّ العلم وهو الجهل... إلى آخر ما يذكره من الصفات، وبعد أن ينقل السّيد هذه العبارة يقول: إنّ هذا النسق الذي يحصر المعرفة بنفي الضد يصبُّ في إتّجاه نظرية التعطيل!! فالسيد يُصنّف هذا القول في ص١٧٠ تحت عنوان نظرية التعطيل، وينقل في ص ١٧٤ رواية منقولة من كتاب التوحيد للشّيخ الصدوق بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام حيث قال: إن للنّاس في التوحيد ثلاثةَ مذاهب، مذهب إثبات بتشبيه (وهم المجسّمة) ومذهب النفي (وهم المعطلّة) ومذهب إثبات بلا تشبيه، فمذهب إثبات بتشبيه لا يجوز، ومذهب النفي لا يجوز، والطريق في المذهب الثالث إثبات بلا تشبيه (انتهى)[٣].

وهذه الرواية تُثبت المطلب، وتنفي التعطيل ببركة (إثبات بلا تشبيه)،

---

(١) نهج البلاغة، خطبة رقم ٨٥.
(٢) عيناً ولا مفهوماً.

محدودة واللغة ضيقة، فكيف يتحدّث الإنسان عن مقام الذات؟ فلا مجال لنا إلاّ الأسماء الحسنى، حسب الرواية الصحيحة في باب حدوث الأسماء في الكافي الشريف، حيث صرّح المعصوم عليه السلام أنّ الاسم غير المسمّى التي صقلت شخصية هشام بن الحكم عقائدياً، ورسّخت جوهر التوحيد، وكشفت حقيقةَ المطلب في المقام، ولذا قال هو نفسه: فما كُسرت في التوحيد مُذْ قمت مقامي، وإليك نصَّ الرواية الصّحيحة الصّريحة، لمن يَملِكُ عينين يرى الواحدَ واحداً لا اثنين:

عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النّضر بن سويد، عن هشام بن الحكم، أنّه سأل أبا عبدالله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها: الله ممّا هو مشتق؟ فقال: يا هشام الله مشتق من إله، وإله يقتضي مألوهاً والاسم غير المسمّى، فَمَن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد اثنين، وَمَن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد، أفهمت يا هشام؟! قال: قلت: زدني، قال: لله تسعة وتسعون اسماً، فلو كان الاسم هو المسمَّى لكان كلّ اسم منها إلهاً، ولكنّ الله معنى يُدَّلُ عليه بهذه الأسماء وكلّها غيره، يا هشام الخُبْز اسم للمأكول، والماء اسم للمشروب، والثّوب اسم للملبوس، والنّار اسم للمُحْرق، أفهمت يا هشام فَهْماً تَدفع به، وتُناضل به أعدائَنا المتّخذين مع الله عز وجل غيرَه؟ قلت: نعم، فقال: نفعك الله (به) وثبَّتك يا هشام قال: فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتّى قمت مقامي هذا[1].

---

## باب النسبة

١ - أحمد بن إدريس، عن محمّد بن عبدالجبّار، عن صفوان بن يحيى، عن أبي أيّوب، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: انسب لنا ربّك، فَلبِثَ ثلاثاً لا يُجيبهم، ثمّ نَزَل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخرها.

ورواه محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن أبي أيّوب.

٢ - محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، ومحمّد بن الحسين، عن ابن محبوب، عن حمّاد بن عمرو النصيبيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألت أبا عبدالله، عن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال: نسبة الله إلى خلقه، أحداً صمداً أزلياً صمدياً، لا ظلّ له يُمْسِكه وهو يُمْسِكُ الأشياء بأظلّتها، عارفٌ بالمجهول، معروف عند كلّ جاهل، فردانيّاً، لا خَلْقُه فيه ولا هو في خَلْقِه، غير مَحْسوسٍ ولا مَجْسوسٍ، لا تُدْرِكُه الأبصار، علا فقرُب ودنا فبعُد، وعُصِيَ فَغفَر وأُطيعَ فشكر، لا تحويه أرضُه ولا تُقلّه سماواته، حامل الأشياء بقدرته، ديموميٌّ أزليٌّ لا ينسى ولا يلهو، ولا يغلط ولا يلعب، ولا لإرادته فصل، وفصله جزاء، وأمره واقع، لم يَلِد فيُورَث، ولم يُولَد فيُشارَك، ولم يكن له كُفُواً أحد.

٣ - محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن

آخر الزمان أقوامٌ متعمّقون، فأنزل اللّهُ تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والآيات من سورة الحديد إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فمن رام وراء ذلك فقد هلك.

٤ - محمّد بن أبي عبداللّه رفعه، عن عبدالعزيز بن المهتدي قال: سألت الرضا عليه السلام عن التوحيد فقال: كلّ من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وآمن بها فقد عرف التوحيد، قلت: كيف يقرؤها؟ قال: كما يَقْرؤها الناس وزاد فيه كذلك اللّه ربّي (كذلك اللّه ربّي)[1].

المحاضرة
الثالثة

■ تتضمَّنُ المطالبَ التالية:

- مناقشةً موضوعيةً لقول السيّد، بأنّ الذات مملوءة بالكمالات.
- حقيقة نظرية المُلاّ صدرا «بسيط الحقيقة كلّ الأشياء، وليس بشيء منها».
- كلمات قُدسيّة للشّيخ الوحيد الخراساني دام ظلّه العالي «كلمة من كلماتهم عليهم السلام تذري مليار عقل كعقل ابن سينا ...».
- سرّ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ والمعنى الدقيق للأسماء.
- تصريح السيّد بأنَّ الاسم الأعظم هو عين الذات، والردّ عليه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُللّه والصّلاة والسلّام على أشْرفِ خَلْقِ اللّه محمّدٍ وآله آلِ اللّه، فقد انتهينا ممَّا سبق، وبيّنا بشكلٍ تفصيلي مواقع النظر، فيما ذكره صاحب كتاب التوحيد من موضوع خَلْط الأسماء بالذات، رغم ما صرّح به في هذا المُصنَّف مِن أنَّ الذات لا يُمكن معرفتُها ومعرفةُ كنهِها.

وعندما سرّحنا النظر في الكتاب، وجدنا أنَّ المؤلِّف قد بحث موضوع الأسماء الحسنى، لكنّه لم يذكر روايات حدوث الأسماء التي رواها الكليني، فلم يتعرَّض لروايات الكافي الذي عَنْوَن باباً بعنوان حدوث الأسماء، وكذلك توحيد الصدوق، وتفسير العياشي[1]، فإنّه قد نقل في تفسيره الروايات الواردة في الأسماء الحسنى، وهذا يُعدُّ ثلمةً في البحث لأنَّه لم يأخذ كلَّ الجوانب بما فيه المروي عن أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) هو الشيخ الجليل أبو النصر محمّد بن المسعود بن محمّد بن العياش التميمي الكوفي السمرقندي من أعيان علماء الشيعة، وأساطين الحديث والتفسير بالرواية، ممّن عاش في أواخر القرن الثالث من الهجرة النبوية.

أجمع كلّ مَن جاء بعده من أهل العلم على جلالة قدره وعلوّ منزلته وسعة فضله، وأطراه علماء الرجال متسالمين على أنّه ثقة عين صدوق في حديثه من مشايخ الرواية، يروي عنه أعيان المحدّثين كشيخنا الكشي صاحب الرجال وهو من تلامذته، وشيخنا جعفر بن محمّد بن المسعود العياشي وهو ولده.

كان شيخنا المترجم عنه نشأ على مذهب أهل السنة، ثم تشيّع فكان أحد أساطين العلم وأعيان الطائفة. اشتغل في حداثة من سنّه بتحصيل العلم فلم يلبث كثيراً حتى بَرَعَ وتمهّر في شتى

وكان (رضـــوان اللّـــه عليه) ذا جدّ بليغ في تجديد ما اندرس من رســـوم العلم، ورفع ما عفى من قواعده، فكانت داره مجمع رجال العلم والثقافة وطلاب الفضيلة، كالمدرســـة المملوءة بأهلها من محصل وباحث وكاتب ومقابل وناســـخ حتى قيل: إنه أنفق في ســـبيل العلم جميع ما كان عنـــده من مال وثروة بالغة، وقـــد كان ورث من أبيه ثلاث مائة ألف دينار. وكان له مجلس مع العام ومجلس مع الخاص.

وُفّـــق رحمه اللّـــه لتأليفات جمّة في مختلف العلوم والفنون، رُبمَا أُنهيتْ إلى مائتي كتاب أو أزيد، وأشـــهرها ذكراً وأعرفها عند القوم تفسيره المعروف بتفسير العياشي في جزئين يروي عنه علماؤنا.

وقد أصيب الكتاب من جهتين:

إحداهما: إنّ جلّ رواياته مسندة، فاختصره بعض النساخ بحذف الأسانيد وذكر المتون، فالنسخة الموجودة الآن مختصر التفسير.

والثانية: إنّ الجزء الثاني منه صار مفقوداً بعده، حتى أنّ أرباب التفاســـير الروائية والمحدّثين لم ينقلوا منه إلا ما في جزئه الأول من الروايات، كالبحراني في تفسير البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والكاشاني في الصافي، والمجلسي في البحار.

نعـــم ربما يذكـــر فيما يذكر أن بعض خزائن الكتب من بلاد إيـــران الجنوبية يحتوي على الكتاب بجزئيه، ولم يتحقق ذلك ولا اهتدينا إليه بعد، ونسأل الله عزّ اسمه أن يوفّقنا للحصول عليه

وسوف نقرأ في ج١ ص[illegible]، ما أفاده بعد ذكره للآيات المباركة ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]، ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[2]، ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[3]، قال: فإنَّ مقتضى توفّره على الأسماء الحسنى، أن يكون واجداً لكلّ كمال وجودي على أحسن وجه وأكمله وأسماه (انتهى).

ينبغي أن نلاحظ عبارة مقتضى توفّره، بل أنَّه سيُعبّر أنّها (أي الذات) مملوءة بالكمالات، فبهذا لا يمكن أن تكون الذات مختلفة عن غيرها من الأشياء المملوءة، إلاّ بمقتضى احتوائها على الكمالية والجمالية فيكون الأكبر والكبير بينهما تناسب وتقارب، ولا فرق إلاّ أن الذات أكبر وغير الذات أقلّ منها، وأنتم قلتم بإستحالة معرفة الذات، فكيف يمكن تقرير قاعدة الملا صدرا [4] القائلة أنَّ بسيط الحقيقة كلُّ الأشياء وليس بشيء منها، مفاد هذه القاعدة أنَّ الذات الإلهية مملوءة بالكمالات، وماذا تعنون بكلمة مقتضى توفّره على الأسماء الحسنى، فهل الأسماء عين الذات أم أنَّها غيرها؟ لأنّكم قرّرتم أنّها عين الذات

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٨٠.

(٢) سورة طه: آية ٨.

(٣) سورة الحشر: آية ٢٤.

(٤) فيلسوف بشيع، أخذ أفكار ابن عربي الصوفي، وتنزّل بها [illegible]

مربوبة قال تعالى ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[1]، أليست العزّة صفة كمالية، فإذا كانت كذلك وهي مِنْ ضمن المملوءات، فكيف تكون مربوبة طبقاً للنّص القرآني كما في الآية المذكورة؟

ثم إنّه يقول، إنَّ أروع ما دشَّنته قاعدة المُلاّ صدرا هي، قاعدة (بسيطة الحقيقة كل الأشياء وليس بشيء منها)، ولكن هذه الكلمة مقتبسة ومأخوذة من قول المعصوم عليه السلام بوجهٍ من الوجوه: «**خلق الله المشيئة بنفسها وخلق الأشياء بالمشيئة**»[2]، وهذا يدلّ على أنَّ المشيئة مُحْدَثة، على الرغم من أنَّ الأمور العقائدية لا تشدّد في أسانيدها، ولطالما أخذ الفلاسفة من بعض كلمات أهل البيت عليهم السلام ولا أقول من متون كلماتهم، **والجدير ذكره ما أفاده الأستاذ الشيخ الوحيد الخراساني دام ظلّه العالي في بيان فضل كلمةٍ من كلماتهم على غيرهم قال:** إنَّ من مصائبنا أنّا نصرفُ أوقاتنا في فهم كلمات الشيخ الرئيس ابن سينا وغيره، ولا نَصرفها في فهم كلام المعصوم، الذي نَراه بإشارةٍ واحدةٍ في كلامه يَذْري مليارَ عقلٍ كعقل ابن سينا في مهبِّ الريح!

إنّ كلّ كلمة من كلماتهِ عليه السلام عالمٌ مّواج من العلم! تَحتاج إلى بَذل

---

(١) سورة الصافات: آية ١٨٠.

(٢) الكافي:م١/ ١١٠ وقد أوردها بسند صحيح عليه السلام، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي

به.

ثـمّ يقول دامت أيامُـه المباركة: أعظم شـأنا.. وأبعد غورا، من أن يبلغهـا النـاس بعقولهم! تأملوا فقط في كلمة (أبعـد غورا) لتروا أنَّ الموضوع هنا مثل مناطق الفراغ أو الثقوب السـوداء، التي يتكلّم عنها الفلكيون، والتي كلّما وصل إليها شـعاعٌ انطفأ، أو نجمٌ تلاشى وفني! إنها محيط بلا نهاية يقف الفكر البشري في ابتدائها ولا يعرف غورها وانتهاءها!

فالإمام الرضا عليه السـلام يقول إن شخصية الإمام جهاز رباني، عميق الغور، أعظم من أن يبلغها الناس بعقولهم!! الناس.. كل الناس.. طبيعة الناس!

بعقولهم.. كل عقول أصحاب العقول، بما فيها عقل أفلاطون وعقل أرسطو، وعقل ابن سينا، وعقل الشيخ الأنصاري! فكل العقول عندما تصل إلى هنا تنطفئ أشعتها، وتتلاشى قدراتها!

وقال أعلا الله كلمته:

إنّ مشكلة الإنسان كثيرا ما تكون قلّة فهمه، فالذي يَفهم يَكثُر تفكيرُه وتأمّلـه ويقلّ منطقُـه، ويتقيّد بكلماته. أمّا الذي قليـل الفهم فيُطلِق منطقَه وسلوكَه بلا دقة، فتكثر سـقطاتُه، ويَجُرّ المشكلاتِ والمصائبِ

إلى خيوطِ شعاعٍ من شمسِها، ولا حبّاتِ رَمْلٍ من ساحِلها!

ويفيد ولَنِعْم ما أفاد، في شـــرحه لقول الإمام الرضا عليه السلام: «**الإمام واحـد دهـره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالـم، ولا يوجد منه بدل، ولا لـه مثـل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله، مـن غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب**».

أمَّا إمـــام الزمان أرواحنا فداه، فقد ورد لـــه في مجموع الروايات والزيارات والأدعية الصحيحة، مئة واثنان وثمانون مقاما وصفة!

إحدى صفاته عليه السلام: (**متمُّ نور اللّه**) وهي صفة يَتحيّرُ فيها العقل!

وفي قول الإمام الهادي عليه السلام في متن الزيارة الجامعة الكبيرة يقول حفظه اللّه ذُخْراً وذَخِيرة للعارفين ما نَصُّه: «**كلامكُم نورٌ وأمرُكم رُشْد**». فما معناه؟ معناه أنّكم جميعـــا تطلبون النّور، وتبحثون عن النور، لكن هذا النور ليس في شـــفاء ابن سينا، ولا في المباحث المشرقية للرازي، ولا في كلمات أرسطو وأفلاطون وفيثاغورس..

هـــذا النور في قلْبِ عدّةٍ من المســـتقيمين، ذوي القلوبِ المتوقّدة من شعاع ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾[1].

ابن سينا في آخر عُمُرِه، وبعد أن قضى حياته في الفلسفة المشائية،

عديـــدة... في آخر عُمُرِه، فَهِمَ أنَّ ضائعـــه لا يُوجد في تلك المداخل، وإنّمـــا يوجد في القرآن، فكتب كلمات يُفْهَـــمُ منها ذلك، وكان يَقضي نهاره وليله في قراءة القرآن!

ابن سينا في آخر عُمُرِه، وبسبب قصّة لا يتّسع المجال لشرحها الآن، وصـــل، لكن بعد فوات الأوان! لكنّه قـــرّر أن يَغْتَنِم ما بقي له مِن أيام، وأخَذَ في قراءة القرآن ومطالعته إلى أن تُوفّي!

أمَّا النبيَّ ﷺ فقال: **«إنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتابَ اللّه وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا أبدا»**.

**كلامكـم نـور**.. نقرأ هذا اليوم نورا من أنوارهم صلوات اللّه عليهم، في هذه الرواية الشـــريفة، فإن لم نصل إلى عمقها وأســـرارها، فإن مجرد قراءتنا لها نور وإن وصلنا إلى شرحها فهو نُورٌ على نُور.

وختامُ مقاله زيدَ في علوَّ مقَامِه: (**إلى أن بعث اللّه سبحانه محمداً ﷺ رسـولاً لإنجـاز عدته، وتمام نبوتـه، مأخوذاً علـى النبيين ميثاقه، مشـهورةً سـماته، كريمـاً ميـلاده. وأهـل الأرض يومئذ ملـلُ متفرقة، وأهواءٌ منتشرة، وطوائفُ متشتتة، بين مشبِّهٍ للّه بخلقه، أو ملحدٍ في اسـمه، أو مشـيرٍ إلى غيره.. فهداهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانه من الجهالة**)[1].

---

ملحد في اسمه، أو مشير إلى غيره، فجاء ﷺ وأخذ منجله النبوي فحصد كل ذلك الحشيش التافه، وغرس بدله شجرة التسبيح الطيبة، وأضاء شجرة التهليل والتوحيد، وأنار في العالم مشعل التسبيح والتحميد وأوصل البشر إلى مستوى أن يقولوا: (**الله أكبر.. من أن يوصف**)!

نفس: **سبحان الله**، ماذا تعني؟ هنا تتحيّر عقول الكُمّل من البشر.. فقد أوصل النبيُّ المعرفة إلى هنا! أوصل التنزيه إلى هنا.. تنزيه عن الجسم، وتنزيه عن صفات عالم الكون، وهذا هو التنزيه الابتدائي لعامة الناس!

قال النبيّ **سبحان الله**، فهدى عقول الألوف كعقل ابن سينا، بل إن ابن سينا لا قيمة له هناك، لقد هدى النبيّ ﷺ ألوف العقول النيرة كعقول الأنبياء عليهم السلام إلى أقصى ما يمكنهم أن يجدوا اليه طريقاً في دائرة الوحي وإمكانيات العقل البشري، والى أدق معاني قوله: كلّما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه، فهو مخلوقٌ مصنوعٌ مثلُكم، مردودٌ إليكم! ولا غرو فهو ﷺ نبيُّ الأنبياء عليهم السلام! [٢]

فالرواية صريحة من حيث المتن: خلق الله المشيئة بنفسها، وخلق الأشياء بالمشيئة، فما من شيء إلا وتشيَّأ بذلك المقام في عالم الإحداث، فهي بسيطة وشَيأَتِ الأشياء.

هناك تمييز يقع بين الاسم اللفظي والاسم الخارجي، على هذا الضوء فـإنّ المقصود من قوله سـبحانه ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ليس الألفاظ وإنّما هذه الألفاظ حاكية عن مسـمياتها الخارجية التي هي الأسماء الخارجيـة... إلى أن يضرب مثالاً في ص٣٦٤ فيقول: إنّ لفظ العالم من أسـماء اللّه سبحانه، هو اسم للإسـم الخارجي الذي هو الذات الإلهية مأخوذة بحيثية العلم، وهكذا بقية الأسماء (انتهى كلامه).

فيُفهم مِن هذا أنَّ العالِم اسـم، للإسـم الخارجي الذي هو الذات الإلهية أي جعل الذات الإلهية ذاتا خارجية لها تعيّن، والحال أنَّ التعيُّنات بها عَبْرَ المشيئة، ثمّ ينقل في ص٣٦٦ قول الطباطبائي في الميزان ج ٨ ص٣٥٣: والقرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يستعمل الأسماء الإلهية في تقرير مقاصده، ويعلّمنا علم الأسـماء من بين ما بلغنا من الكتب السماوية المنسوبة إلى الوحي (انتهى كلامه).

ولنـا أن نسـألَ ما هو علم الأسـماء؟ فقد ورد في سـورة البقرة ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾[1] وأنتم أيضاً ذكرتم في بحث الخلافة بعد اسـتعراض هذه الآيـة، مبيّناً معنى هذه الأسـماء وقلت إنها حيّة عاقلة عالمة، لاحظوا فـي مورد آدم قال: «علّم» وفي مورد الملائكة قال: «أنبئوني» ممّا يعني

التعليم، فهل هذه الأسماء هي عين ذاته؟ فهل يمكن أن تعرض الذات بأسمائها التي قلتم أنّها عين الذات؟ أم أنَّ هذه الأسماء مُحدَثة بدليل قوله تعالى (ثمَّ عرضهم)، وهنا قطعاً لا يراد بها الحروف الهجائية والألفاظ بل هي حقائق وجودية، والسّيد لم يذكر لا من قريب ولا من بعيد رواية (نحن الأسماء الحسنى) على الرغم من ورودها في أهم المصادر الروائية المعتمدة، فلماذا لم يُورد هذه الرواية ورواية هشام الأُخرى الواردة في «الأسماء»، وقد ذكرتم في سعة الأسماء وضيقها، أنّ الأسماء بينها مراتب وقلتم إنّ العرفاء يقولون إنّ الأسماء منها ما هو كلّي ومنها ما هو جزئي، لا بالمعنى الفلسفي بل بمعنى عرفاني، فأنتم تريدون أن تُثْبتوا أن هذه الأسماء حقائق خارجية، فقلتم في ص٣٦٩: على ضوء هذه الملاحظة راح الفلاسفة بل العرفاء أيضاً يُقسّمون أسماء الله (سبحانه) إلى أسماء كلية وجزئية، والمقصود من الكلي والجزئي هنا ليس معناهما الفلسفي أو المنطقي، بل المعنى العرفاني الذي يعني السعة الوجودية والضيق الوجودي، فكلّما كان الشيء أوسع وجوداً وأبعد أثراً في هذا العالم فهو كليّ، وكلّما كان أضيق وأقلّ تأثيراً فهو جزئي، المناط في هذا التقسيم للأسماء ليست معايير الكلي والجزئي في الفلسفة والمنطق كما أسلفت الإشارة، بل الآثار المترتبة عليها وفاعليتها الوجودية لأنها حقائق خارجية (انتهى كلامه).

بعضها إلى بعض، فإنّ الاسم يكون واسعاً وعامّاً وكليّاً بالنسبة إلى ما دونه، وخاصاً وضيقاً جزئياً بالنسبة إلى ما فوقه، حتى ينتهي النسق الترتيبي إلى ذُروة عُليا بحسب التسلسل الأعلائي، فإذا ما صعدنا حلقة حلقة نحو الأعلى ننتهي إلى إسم لا يوجد فوقه إسم من حيث الفاعلية الوجودية والآثار المترتبة عليه، وهذه الذروة أو الاسم أو الحقيقة العليا هي التي يُطلق عليها في النصوص الروائية الواردة عن النبيّ وأهل البيت عليهم صلوات اللّه، بل وفي التراث الإسلامي عامة، الاسم الأعظم، كما قد يُعبَّر عنه في بعض الأدعية بالاسم الأعظم الأعظم الأعظم (انتهى كلامه).

**فالواضح أنَّ هناك مقام الاسم الأعظم، وهناك تسلسل وصعود ونزول، فهل يكون هذا التسلسل في مقام ذاته أم مقام مُحْدَثاته؟ وهل السعة والضيق في ذاته؟ هذا لا يمكن قبوله عقلاً ولا نقلاً.** ثمّ يؤكّد السَّيد أن الأسماء ليست مجرد ألفاظاً، ففي ص٣٧١ عنوان حقائق أم ألفاظ؟

ويقول تحت هذا العنوان في ص٣٧٣: أمَّا بالنسبة إلى لفظ الجلالة (اللّه) فهو اسم لذات واجب الوجود المستجمع لصفات الكمال كافّة، وهو ليس الاسم الأعظم، وإنما هو اسم للاسم الأعظم، والإسم الأعظم هو الذات الإلهية المقدسة المستجمعة لجميع صفات الكمال والجمال

في كنهها «اسم» وأنتم قررتم أنَّ الذات لا يمكن معرفتها، فكيف قرَّرتم أنَّ الاسم الأعظم هو الذات المقدسة؟ بل إنَّ الطباطبائي صرَّح في المجلد الثامن من تفسير الميزان: قال وأما هذه الحُجَاب الثلاثة اللّه- تبارك- وتعالى، والاسم المحجوب إنَّها جميعاً دون الذات أي أنَّ مرتبتها أخرى، وأما الذات فلا ينتهي إليها إشارة ولا يقع عليها عبارة إذ كلّ ما تَحكيه عبارة أو تُومىء إليه إشارة اسم من الأسماء، محدود بهذا النَحو والذَات المتعالية أعلى منه وأجلّ. وهذا الذي أفاده العلاّمة دليل إثبات حدوث الأسماء، لذا عنْوَن الكليني طاب ثراه باباً تحت عنوان (باب حدوث الأسماء) فتأمَل جيّداً ولا تغفل.

والملاحظ أنَّ السّيد يبدأ بدور الملائكة في التدبير في ج ٢ ص٣٧٥ إلى ص٣٨٧ يثبت أنَّ الملائكة مظاهر الأسماء ويكرّر ذلك ويؤكّده، ثمّ يأتي من ص٣٨٨ إلى ما بعد تحت عنوان المظهر الإنساني للاسم الأعظم، يقول في هذا المقام إنّ النبيّ وأهل البيت عليهم السلام ليسوا إلاّ مظاهر، فالمظهرية كما للملائكة والأنبياء فكذلك لأهل البيت ولا فرق، إلاّ أنَّ الملائكة مظاهر للأسماء، والنبيّ الأعظم ﷺ مظهر للإسم الأعظم والإسم الأعظم عين ذاته !!!

أقول: ما ذكره عجيبٌ غايته غريبٌ نهايته، وذلك لأنَّ الإسم الأعظم لا يخرج عن كونه مقاماً اسمياً جامعاً للصفات، وهو في الحقيقة المقام

في الكافي باب التوحيد، والشيخ الصدوق في كتابه الفريد «التوحيد» وأهمّ ما ورد فيها صحيحة هشام بن الحكم التي نصّت على أنَّ الاسم غير المسمّى، فراجع إن شئت المعرفة الحقّة وتأمّل إن أردت اللحوق بالحقيقة. ودقّق وتبصّر الأسماء الحسنى، فالأئمّة عليهم السلام حقيقة الأسماء الحسنى وليسوا مظاهر الأسماء فَحسْب، فما قرّرتم مخالف لروايات أهل بيت العصمة صلوات اللّه وسلامه عليهم. كما ورد في النصّ الشّريف عن أبي عبداللّه عليه السلام قوله «نحن واللّه الأسماء الحسنى التي لا يتقبّل اللّه من العباد عملاً إلاّ بمعرفتنا».

كما سيأتي عرض كامل للنّصوص المصرّحة بذلك في المحاضرة الرابعة، فانتظر إنّا منتظرون.

ومِن هنا يَقطع العارفُ بمعاريض كلماتِهم والنّاظرُ لمتون أخبارهم بأنَّ الأسماء الحسنى بما فيها أعلاها وهو الاسم الأعظم هي حقائق المتجلّي في عوالم الإمكان والأكوان والأعيان لا أنهم عليهم السلام مظاهرها، بل هي هم وهم هي فتأمَّل تغنم.

وصلّى اللّه على محمّدٍ وآل محمّدٍ عَدَد ما في عِلمِه ودوام مُلْكِه.

المحاضرة
الرابعة

■ تتضمَّنُ المطالبَ التالية:

- بيانٌ روائيّ تفصيليّ لحقيقة «الأسماءُ الحسنى».
- تحليـلٌ دقيقٌ للرّوايات الدالّة علـى الحمل الحقيقي لقول المعصوم عليه السلام.
- نقل روايتين من غُرر الروايات سَمْكاً وأشدّها عُمْقاً.
- فَذْلكةُ المطلب في صحيحة هِشـام، وسـرّ السُّـؤال عن اشـتقاق الأسماء.

الحمدللّه والصّلاة والسلّام على أشرف خلْقِ اللّه محمّدٍ وآلهِ آل اللّه.

شرحنا فيما سبق أنَّ كلمة «مظاهر» بمعنى أنَّ أهل البيت عليهم السلام مظاهر الإسم الأعظم، لم تَرِد في الروايات الشريفة الواردة في كتبنا المعتبرة، بل الوارد خلاف القول مِن أنّهم مظاهرُ الاسم الأعْظم، وإليك بعضَ الرّوايات الصريحة لما ذهبنا إليه، فقد أورد الكليني بسنده عن أبي عبداللّه عليه السلام في قوله اللّه عز وجل ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[1]، قال: **نحنُ واللّهِ الأسماءُ الحُسْنى الّتي لا يَقْبلُ اللّهُ من العباد عَمَلاً إلاّ بمعرفتنا**[2].

**وبالنظر الأوّلي** لهذا المتن نجد أنَّه قد تضمّن «القَسَم» بقوله عليه السلام «واللّهِ» ولذلك فإنَّ الجملة تامَّة، مكوّنة من موضوعٍ ومَحْمول، فالموضوع نحن، والمحمولُ الأسماءُ الحسنى، أي الأسماء الحسنى عيننا، ولم يقل نحن مظاهر الأسماء الحسنى، وكذلك فإنَّ الآية صريحة في أنّه تقدّست أسماؤه لم يَرِد فيها «هو الأسماء الحسنى»، بل ما في متنها (له)، (لِلّه) فتنبّه ولا تغفل.

**نصّ آخر** أورده العيّاشي[3]، عن الإمام الرّضا عليه السلام قال: إذا نَزَلتْ

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٨٠.

(٢) باب النوادر كتاب التوحيد المجلد الأول، ص١٤٣.

فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: نحنُ واللهِ الأسماءُ الحسنى الذي لا يَقبلُ من أحد إلاّ بمعرفتنا.

**نصٌّ ثالث**: أورده الشّيخ المفيد رحمه اللّه في الاختصاص قال: قال الرضا عليه السلام إذا نَزَلتْ بكم شديدة، فاستعينوا بنا على اللّه عزّ وجلّ، وهو قوله ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾.

**نصٌّ رابع**: الشّيخ الصّدوق رحمه اللّه بسنده عن حنّان بن سَدِير قال: سألت أبا عبداللّه عليه السلام عن العرش والكرسي وذكر الحديث إلى أن قال: فليس له شبه ولا مثل ولا عدل، وله الأسماء الحسنى التي لا يُسمّى بها غيرُه، وهي التي وصفها اللّه في الكتاب، وقال ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾[1]، أي جهلاً بغير علم...

**نصٌّ خامس**: الشّيخ المفيد في الإختصاص عن الباقر عليه السلام قال: سمعتُ جابرَ بنَ عبداللّه الأنصاري قال: يا رسول اللّه صلى الله عليه وآله ما تقول في عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: فذاك نفسي، قلت: فما تقول في الحسن والحسين؟ قال: هما روحي، وفاطمة أمُّهما ابنتي يَسوؤني ما أساءها، ويَسرّني ما أسرّها، أُشهد اللّه إنّي حربٌ لمَنْ حاربهم وسِلْمٌ لمَنْ سالمهم، يا جابر إذا أردتَ أن تدعوَ اللّه فيستجيب لك، فادْعُهم بأسمائهم فإنّها أحبُّ الأسماء إلى اللّه عزّ وجلّ.

فالمحمـــول هنا أُخذ بنحو الحقيقة، والمعصـــوم عليه كما رأيتَ ودريتَ إنّه في مقام البيان، وليس في مقام المجاز والكناية. وكذلك فإنَّ الآية ورد فيها (فله) ولم يقل فهو، فالأسماء له، ولو كانت عَينه لقال «فهو»، نظير قوله «له ما في الســموات وما فــي الأرض» فهل المعنى أنَّه هو مــا في الســموات والأرض؟ فهل مَنْ في الســموات ومَنْ في الأرض عينُــه أم أنَّه عائدٌ إليه؟ وبالتالي هي غيــره. وفي كتاب التوحيد باب حدوث الأســماء رواية مهمّةٌ جداً، تُعتبرُ من غُرَر الروايات في المقام، وهي أبعد سَمْكاً وأشدُّ عمقاً من كثير ممّا ورد، لذا ينبغي التعاملُ مع ما ســنُورده بغاية الدقّة ونهاية التدبّر، وســتجد صدقَ المَقال وحقيقةَ الحال، وبيد الحقّ المَبْدأُ والمآل، وهداية مَن شــاء اللّه المتعال، والعترة الزاكية من الآل.

عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: إنّ اللّه تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوّت، وباللفظ غيرَ مُنْطق، وبالشخص غيرَ مُجَسّد، وبالتشبيهِ غيــرَ مَوصوف، وباللونِ غيرَ مَصْبوغ، منفيٌّ عنــه الأقطار، مُبْعَدٌ عنه الحدود، محجوبٌ عنه حسّ كلّ متوهّم، مُسْــتترٌ غيرُ مســتور، فَجَعلَه كلمــةً تامّةً على أربعة أجزاء معــاً ليس منها واحدٌ قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثةَ أســماء لفاقة الخلق إليها، وَحَجَبَ منها واحداً، وهو الاسمُ المكنونُ المخزون، فالظاهر هو اللّه تبارك وتعالى، وسخَّر سبحانه لكلّ اســم من هذه الأســماء أربعة أركان، فذلك اثنا عشــر ركناً، ثمّ خَلَق

نوم، العليمُ، الخبيرُ، السميعُ، البصيرُ، الحكيمُ، العزيزُ الجبّارُ، المتكبّرُ، العلـيُّ، العظيمُ، المقتدرُ، القادرُ، السـلامُ، المؤمـنُ، المهيمنُ، الباريءُ، المنشـيءُ، البديعُ، الرفيـعُ، الجليلُ، الكريمُ، الـرازقُ، المحيي، المميتُ الباعثُ، الوارثُ.

فهذه الأسـماء وما كان من الأسـماء الحسـنى حتّى تتمَّ ثلاثُ مئةٍ وسـتين اسماً، فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة، وهذه الأسماء الثلاثة أركان، وحُجِبَ الاسـم الواحد المكنون المخزون وذلك قوله تعالى ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1] **والمستفاد من تمام النصّ إنْ كنتَ تدبّرت فيه، هو أنّ الأسماء مُحَدَثة، فارجع البصرَ كرّتين ينقلبْ إليك البصرُ خاسِئاً وهو حَسِير.**

رواية أخرى في باب المعبود من الكافي الشريف، وفي سندها عليّ بن إبراهيم، عن أبيه عن النّضر بن سـويد، عن هِشام بن الحكم، أنّه سـأل أبا عبدالله عليه السلام عن أسماء اللّهِ واشتقاقِها، اللّه ممّ هو مُشْتق؟ قال: فقال لي: اللّه مشتقٌّ، من إله، والإله، يقتضي مألوهاً، والاسم غير المسمّى، فَمَن عَبَدَ الاسم دون المعنى فقد كَفَر ولم يَعْبد شيئاً، ومَن عبد الاسم والمعنى فقد كفر وعبد اثنين، ومَن عبد المعنى دون الاسم، فذاك التوحيـد. أفهمت يا هشـام؟ قال: فقلت: زدني، فقال: إنّ للّه تسـعةً

ولكن اللّه معنىً يُدَّلُ عليه بهذه الأسـماء، وكلُّها غيرُه، يا هشام الخُبْز اسم للمأكول، والماءُ اسم للمشروب، والثّوبُ اسم للملبوس، والنّار اسمٌ للمُحْرِق، ثمَّ قال: أَفَهمتَ يا هِشـام فَهْماً تَدفع به وتناضل به أعداءنا والمتَّخذين مع اللّه جلّ وعزَّ غيره، قلت: نعم، قال: نَفَعك اللّه به وثبّتك يا هِشـام، فقالَ هِشام: فواللّه ما قَهَرَني أحدٌ في التّوحيد حتّى قمتُ من مقامي هذا.

**وهنا نلاحظ أنَّ «هِشاماً» سأل عن «اللّه»، ولو كان اللّه هو الذات لما تَجَرأ أنْ يسأل، ونلاحظ أنّ الإمام عليه السلام كان في كلّ مرة يسأل هشاماً: أفهمت؟ وهذا يدلّ على أهمّية المطلب، ثم نلاحظ أنَّ الإمام عليه السلام يبيّن له بالأمثلة أنَّ الاسم غير المسمّى، وفي آخر النّص يدعو له الإمام عليه السلام بالثبات، وأن ينتفع بهذا العلم وأن يناضل فيه، لأنَّ هذا العلم يحتاج إلى المجاهدة والمناضلة، فتفهَّم السرَّ وما حوى، هذا وصلّى اللّه على محمّد وآل محمّد، صلاةً تَشْحنُ الهواء، وتملأُ الأرضَ والسّماء.**

المحاضرة
الخامسة

■ تتضمَّنُ المطالبَ التالية:

- تحقيـقٌ رائِـعٌ لقولِـه تعالـى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

- الردّ القاطع على مُدّعى السّيد الحيدري في أنّ الآية معناها «ليس كمثل ذاته شيءٌ».

- بحثٌ تحقيقيٌّ في «الكاف» في قوله تعالى ﴿كَمِثْلِهِۦ﴾.

- عَرْضٌ للآيات القرآنية التي تشير إلى المِثْل، وما يتمخّض منها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله والصّلاة والسلام على أشرف خَلْقِ اللّه محمَّدٍ وآلهِ آلِ اللّه.

تعرّض القاضيّ القمّيّ رحمه اللّه لبيان سيرٍ هامٍّ وعجيب[1] في قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2]، وقد فتح هذا البحث باباً واسعاً في معرفة سرّ هذه الآية التي بمعرفتها تُرفع الحجب عن المعنى الحقّ، وقبل الخوض في غِمارِ هذه الآية المباركة نُشير إلى أنَّ فهم معنى هذه الآية، والوصول إلى مغزاها يُعين على فهمِ كثيرٍ من معاني التوحيد، وقد أتيتُ بالأدلة القرآنية، والروائية ،وأقوال بعض الفلاسفة والعلماء، ولنبدأ بطرح السؤال التالي:

ما المقصود -في واقع الأمر وحقيقة المعنى- بالآية؟ والجواب عنها يتوقفّ على تحرير معنى (الكاف)، فما المعنيّ واقعاً منها؟ «كمثله» خبرٌ مقدّم وشيء اسم متأخر، لأنّ أصل الجملة ليس شيء كمثله، فهل الكاف صلة أم أصلية؟ هل هي زائدة أم أساسية أصلية؟ وهنا في المقام بحث عميق ودقيق بين كبار النُّحاة الذين بيّنوا حسب المشارب معنى الكاف، وسوف نأتي على ذكر آراء العلماء، ونُثبت أنّ المثل شيء، والذات شيء آخر، لا كما ذهب إليه جُلّ المفسّرين وعلماء الفلسفة وغيرهم مِن أنَّ المقصود (كمثله) الذات المقدسة.

---

(١) شرح الأربعين: الحديث الخامس/ اللمعة الثانية/ الصفحة ١٧٠.

حيث يقول في ج ١ ص٢٩١ تحت عنوان النظرية الثانية في مناقشته للنظرية الثانية التي هي نظرية المُجسّمة، فيقول: لقد فات أصحاب هذه النظرية أنّ قوله سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ لا يقتصر على الذات الربوبية وحسب، بل هو بلورة لقاعدة مطّردة أو قانون عام، يضبط المعرفة التوحيدية ويُوجّهها في بحث الصفات والأفعال كما في الذات، فكما أنّه ليس كمثل ذاته شيء، كذلك ليس كمِثْل صفاتِه وأفعالِه شيء يماثله (انتهى كلامه).

وأمّا في ج ٢ ص٤٦٧ قال تحت عنوان تطبيقات روائية، فيقول: فالمنطلق في هذه النّصوص تنزيه اللّه تقدّست أسماؤه عن شوب الممكنات، انطلاقاً من الأساس ذاته الذي اجتمع عليه البرهان والقرآن وعبّر عنه القرآن بقوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ بمعنى أنَّ العقل والنقل أو البرهان والبيان يلتقيان عند أساس واحد في المسألة، كما يلتقي على الأساس نفسه القرآن والحديث، ليتحوّل ذلك إلى إطار تنزيهي ضَخمٍ ومُكثّف يُحيط الذات الإلهية (انتهى كلامه).

فالسّيد استفاد من الآية نفي المماثل لذاته، وبهذا يتضّح اعتمادُه في النصوص الروائية على نفي المثلية عن ذاته، وهذا الشيء لم يَنفردْ به السّيد، بل إنّ كتب الفلاسفة والعرفاء مشحونة بمثل ذلك، إلاّ أنني أودّ أن أشير في مقام الردّ بالاعتماد على كلمات كبار النّحاة، والرجوع

كتاب مكنون، يراه الناقد البصير رأي العين، وأحداً لا اثنين فانتظِر إنا منتظرون، فهل الآية ناظرة إلى نفي المثل عن المثل الذي هو مقام المثل الأعلى، باعتبار أنَّه هو المُبْتدَع والجامع لجميع صفات الجمال والكمال والجلال أم إلى شيءٍ آخر؟

فالقرآن تحدّى أن يُؤتى ولو بسورة واحدة من مثله، وكذلك يستبطن هذا التحديّ للعارف إشارة إلى المُحْدَث الذي في صدره احتوى القرآن وجميع الكتب السماوية، وكما سنبيّن ذلك قريباً إن شاء اللّه: قال الشّيخ بهاء الدين ابن النّحاس في تعليقتِه على المقرب قال: أكثر النّاس هي زائدة للتوكيد.

فهنا اعتبرها زائدة فصار أصل العبارة «ليس مثله شيء»، **وقال جماعة من المحققّين ليست بزائدة وإنّما هي على بابها، ومعنى الكلام واللّه أعلم نفي مثل المثل، ويلزم من ذلك نفي المثل ضرورةَ وجودهِ سبحانه، فإن قيل لِمَ تَوصَّل إلى نفي المثل بنفي مثل المثل، وهلاّ نفى المثل من أول وهلة؟ فالجواب: إنَّ نفي المثل بنفي مثل المثل أبلغ وأفخم من قولنا أنت لا تفعل هذا لأنّه نفي الشيء بذكر دليله، فهو أبلغ من نفي الشيء بغير ذكر دليله** [1] (انتهى كلامه).

وأنت كما ترى ممّا نقلناه مِن أنَّه كلام جمع من المحققين، وليس قولاً شاذّاً، وأثبتوا أنّ الكاف أصلية، لأنّه أراد أن يَنفي المِثْلَ عن المَثْل

والأفهمية أن تأتي بشيء يعجزون عن الإتيان بمثله، لا أن ينفي المثلية عن ذاته. وسنوافيك -قريباً بإذن اللّه- بما يَدْحض رأيَ السَّائحين والمتكلّمين في ذاته. والمقارنين في مقام التحدّي إثباتاً أو نفياً معها غيرها، فارتَقِبْ إنَّا مُرْتَقِبُون.

ثمّ قال: قال الشهاب الحلبي المعروف بإبن السمين: قوله ليس كمثله شيء في هذه الآية أوجه، أحدها وهو المشهور: أنّ الكاف زائدة في خبر ليس وشيء اسمها، والتقدير ليس شيء مثله، قالوا: ولولا ادّعاء زيادتها لزم أن يكون له مثل وهو محال، إذ يصير التقدير على أصالة الكاف ليس مثل مثله شيء فنفى المماثلة عن مثله، فثبت أنّ له مثلاً ولا مثل لذلك المثل، وهذا محال على اللّه تعالى (انتهى كلامه).

ولكن ما يُلاحظ عليه: هو أنَّه لم يُدرك معنى المثل، الذي صرَّحت به معاجم اللغة: فالمثل بمعنى الصفة وهي من ضمن معانٍ آخر ذُكرت في تعريف هذه الكلمة: بمعنى الصفة فلا مانع- مبدئيّاً- أن نقول ليس مثل مثله شيئاً.

قال ابن قتيبة: العرب تُقيم المثل أو المثل التّام، النفس، فتقول مثلي لا يقال له هذا، أي أنا لا يقال لي هذا.

وابن هشام الأنصاري في المغني، ذكر رأيين في المسألة: الأول: إنَّ

إنّما هو النفي عن ذاته (انتهى كلامه).

فنُشكل عليه بأنَّ ما ذكرتموه مخالف لظاهر الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ والمثل يعني معنى، والذات معنىً مغايراً، فالمثل شيء والذات شيء آخر، فكلام النّحاة كلام باطل، وذلك أنّه كيف جعل الذات مقابلة للعدميات؟ فالوجود كلّه في مقام ذاته عدم، وهذا هو التّوحيد الذي يميل إليه العقل والوجدان وهو التوحيد المُسْتَقى من الرّوايات الشّريفة.

وأمَّا الزمخشري فإنّه له نفس مبنى ابن هشام الأنصاري وقد ردَّ عليه ابن منير وبعض العلماء، فلا داعي للإطالة بنقل الأقوال والردود فقد اتّضح انقسام النّحاة في هذه المسألة.

- ولنتدرج مع الآيات القرآنية الكريمة في بيان معنى المثل:

- سورة البقرة آية ٢٣ : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

وبالملاحظة الدقيقة نجد أنَّ الحقَّ تعالى قد جعل سورة من سور القرآن موضع التحدي، وموضع التحدي لا يقتصر على الألفاظ، بل المعاني والحقائق.

- سورة آل عمران آية ٥٩ : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ

مطابقة للأصل.

- سورة النحل آية ٦٠ : ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

فالآية ناظرة إلى المثل الأعلى وقال (وللّه) المثل الأعلى أي جعل له المثل الأعلى، والمثل الأعلى بنصوص روايات أهل البيت صلوات اللّه وسلامه عليهم هو حقيقة جامعة أحصى فيها كلّ شيء، فالمثل ليس عينه بل عائدٌ له.

- سورة النور آية ٥٣ : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾.

- سورة الروم آية ٢٧ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

انظر بدقة لمتن الآية «وله» وتدبّر حقيقة «له» سينجلي المعنى من الغمَم.

- سورة الزمر آية ٢٧- ٢٨ : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾.

- الطـــور آيـــة : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴾.

فالحديث تارة يكون لفظياً، وتارة يكون وجوداً حقّاً حقيقياً.

وهذه الآيات ذكرناها على ســبيل الإستشهاد، بل على نحو الدليلية لإثبات أَنَّ النّظرَ في الآية المجيدة إلى نفْي المثْليّة للمَثَلِ الأعلى، لبداهة أَنَّ الذّات لا دليل عليها إلاّ الذات، فتأمَّل سرَّ قولِ رُكْنِ التّوحيدِ الأعظم أميـــر المؤمنين عليه السلام في دعاء الصّباح بقوله «**يا مَن دلَّ على ذاته بذاته وتَنزَّهَ عن مُجانسةِ مخلوقاته، وجلَّ عن ملائمة كيفيّاته**». خُذْ ما آتيتُك عمّا ورد عنهم صلوات اللّه عليهم وكن من الشّاكرين.

وســـوف نأتي على ذكر الأخبار والروايات فـــي المحاضرة القادمة إن شـــاء اللّه، هذا وصلى اللّه على محمّـــدٍ وآلهِ الأطهار، ما دام الليّل والنّهار.

المحاضرة
السادسة

■ تتضمَّنُ المطالبَ التالية:

- الــردّ العلمي والنّقْضُ البرهانيّ على نظر تفســير الأَمثل في تبنيّه المعرفة الإجمالية للذات.
- أسرجةٌ مضِيئةٌ في بيان استحالةِ المقابلة بين الذّات وبين ما سواها من الممكنات على الإطلاق.
- حقيقــةُ المِثْل في الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ في الســرّ المصون في الزّيارة الجامعة الكبيرة.
- الذّات لا دلالة عليها إلاّ الذات «يا مَن دلّ على ذاته بذاته».
- عَرْضٌ كاملٌ لدعاء رجب، فإنّه خيرُ دليلٍ لِمقَام المُنْتَجبْ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدللّه والصّلاة والسّلام على أشرف خلق اللّه محمّد وآلهِ آلِ اللّه.

مازال الكلام في سرّ وجوهر المقصد الأسنى في مَجيد قولِه تقدّست أسماؤه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾.

ولنشرع فيما ذكر بعض المفسّرين من بيان في هذا المقام:

وأمّا صاحب تفسير الأمثل في ج ١٢ ص٢٤٩، في معرفة صفات اللّه تعالى: إنَّ علمنا وعلوم الكائنات جميعاً محدود، لذا لا نستطيع أن نصل إلى كُنْهِ وحقيقةِ ذاتِ الخالق غير المحدودة، لأنَّ المعرفة بحقيقة شيء إنّما تعني الإحاطة به، فكيف يستطيع الكائن المحدود أن يُحيط بالذّات غير المحدودة؟

لكن بعد سطرين يقول فعِلْمُنا بذات الخالق وصفاته علم إجمالي، أكثر ما يدور حول آثاره جلّ وعلا!!!

**أقول: هذا خلاف ما فرضتم وقرَّرتم، فالشيء المستحيل لا يُفرَّق بين تفصيله وإجماله، فالتفريق بلا دليل مُفرِّق، والتخصيص بلا دليل مُخصّص، والإستحالات العقلية لا يُفرَّق فيها بين التفصيل والإجمال، فتدبّر جيداً ولا تغفل.**

ويقول في الصفحة التي بعدها: إنَّ الكاف في جملة ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ للتشبيه وتعني المثل أيضاً، لذا فإنّ هذا التكرار أصبح سبباً

الآخر الإتيان بمثل هذه الصفات، لكن المشـكلة أنّه ناظر إلى المعرفة الإجمالية إلى الذات.

وسوف أذكر أسرجة من كتاب مجمع التفاسير[1] وهو كتاب يضمّ فيه بعض التفاسير للشّـيخ الأوحد الإحسائي قُدّس سرّه وبعض العلماء، وقد اخترتُ أربعة سراجات.

**السّـراج الأول:** أنتـم ونحـن متفقون على إمتناع الشـريك مطلقاً، الإمتناع الواقعي ذهناً أو اعتباراً أو تقولاً أو ألخ، نسـتفيد منه أنّه إذا لم يكن شـريك لا فـي الوجود الخارجي ولا فـي الوجود الذهني ولا فـي الإعتباريات ولا في التعقّلات ولا فـي التوهّمات، فهل هناك ما يُفرض له من شريك أو مثل، وما الحاجة لمثل هذا الفرض، والحال أنّ الشـريك والمثل عدم عدم، فإذا نفينا الشريك إطلاقاً فلا معنى أن يقول: هل لي نظير؟ وهل يُقاس الوجود بالعدم؟

**السّـراج الثاني:** في مقام المقابلة والمقايسـة نفياً أو إثباتاً، لا بدّ أن تكون هناك سنخية أو وجه إرتباط أو أي علقة من العلائق، تقول زيد كالأسد، فهناك نوع ارتباط، فالشجاعة مورد العلاقة، فلا بدّ من وجود علاقة وسنخية، فما هو وجه السنخية بين الذات والأشياء؟ فالأشياء مشـيّئة بما فيها العقل، وقد ورد في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام: خلق الله المشيئة بنفسها، وخلق الأشياء بالمشيئة.

**الشرائط الثالث:** شرط المقابلة والمقايسة وشرط النفي أن تمر بأربع مراتب:

- **الأولى:** أن تكون هناك ذات مساوية له في تمام صفاته الذاتية، ولو فرضاً أو تقديراً.
- **الثانية:** لا بدَّ أن تكون هناك مرحلة صفاتية، بأن تتوفَّر في ذلك المقابل جميع صفات العلم والكمال والسمع والبصر، ليكون أساس التحديَّ قائماً على الإتيان بهذه الصفات.
- **الثالثة:** أن تكون له قابلية خلق الأشياء على خلاف ما عند المقابل له بالتمام، حتّى يكون في مقام التحدّي.
- **الرابعة:** أن يكون لذلك المقابل هناك مَنْ هو في مرحلة العبودية التمامية حتّى يكون التحدّي والإثبات في هذا المقام.

فإذا لم يكن مَن هو جامع المراتب الأربع، فإذن لِمَن تكون المقابلة؟ وهنا أودّ أن أسجّل ملاحظتي في ضرورة الإصغاء للرأي الآخر، فكم ترك الأول للآخر، والجدير بالذكر أني قد أُخبرتُ بأنَّ بعض أساتذة الفلسفة في الحوزة العلمية بقم المقدّسة قد اطّلع على كتابنا «التوحيد الخالص» وأبدى نظره في ضرورة نشر الرأي الآخر في الأوساط العلمية، لتكون النتيجة على ضوء الدراسات والمراجعات لما ينتج من مخاض في أمر التّوحيد، الذي يَبْتني أساساً على التدبّر والتأمل في

إلاّ بما شاء اللّه وبيّنه أهل البيت عليهم السلام. فافهم المقصود لتبلغ مقام الشهود.

وعلى ما بيّناه يظهر لك أنّه لا زيادة في القرآن، لا في حرف ولا في كلام «كتاب أُحكمت آياتُه».

وأمّـا الروايات: فإنّه قد نقل مؤلّف كتاب التوحيد في المجلد الأول من كتابه ص١٠٢ قولَ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: لم يُطْلِعِ العقولَ على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته[1].

أي أنّ الصفـة لا يمكـن أنْ تحدَّد، وما فَتَحَ عقـلاً من العقول عن تحديد صفته.

**روايـة أخـرى:** التوحيد للصدوق الباب ٥٠ العرش وصفاته: وهي أنَّ جماعة يدخلون على الإمام عليه السلام فيسألونه في موضوع اليد والرجلين والجلوس على العرش والأنامل.

فلمثل هـذه الصفات قال تعالـى ﴿رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، فيقول الإمام عليه السلام: أي ربّ المثل الأعلى عمّا به مثّلوه، وللّه المثل الأعلى الذي لا يشـبه شيئاً ولا يوصف ولا يُتوهَّم فذلك المثل الأعلى، إلى أن يقول: ووصف الذين لم يؤتوا من اللّه فوائد العلم، فوصفوا ربَّهم بأدنى الأمثال وشبَّهوه بالمتشابه منهم فيما جهلوا به، فلذلك قال ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ

يُسمَّى بها غيره، وهي التي وصفها في الكتاب فقال ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فالذي يُلحد في أسمائه وهو لا يُعلم، يُشرك، ولذلك قال تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾، فهم الذين يُلحدون في أسمائه بغير علم فيضعونها عن مواضعها، يا حنّان إنّ اللّه تبارك وتعالى أمر أن يتّخذ قوماً أولياء فهم الذين أعطاهم اللّه الفضل وخصّهم بما لم يخصّ به غيرهم، فأرسل محمداً ﷺ فكان الدليل على اللّه بإذن اللّه عزّ وجلّ حتّى مضى دليلاً هادياً، فقام مِنْ بعده وصيّه عليه السلام دليلاً هادياً على ما كان هو عليه، دلّ عليه من أمر ربه على ما هو عليه من ظاهر علمه ثمّ الأئمّة الراشدون عليهم السلام.

وفي تفسير آية النور ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ قال عليّ بن إبراهيم القمي عن الإمام الصادق عن أبيه، قلت لجعفر بن محمد: جُعِلتُ فداك يا سيدي إنّهم يقولون مثل نور الربّ، قال سبحان اللّه! ليس للّه مثل، قال اللّه تعالى ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ هنا أنتم تجعلون الأمثال؟ فلا تضربوا للّه الأمثال.

وأما السرّ المصون في الكتاب المكنون لتوضيح سرّ «المثل» فهو في السفر الخالد والزبور الأبدي والفرقان والبرهان قول الإمام الهُمَام

وورثة الأنبياء، **والمَثَل الأعلى**، والدعوة الحسنى، وحُجج اللّه على أهل الدنيا والآخرة والأولى ورحمة اللّه وبركاته» ويُضافُ إلى ذلك دليلٌ آخر أقــوى حُجّةً وأتمّ محجّة، وهو قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء الصبــاح «يا مَن دلّ على ذاتــه بذاته» فهل بعد الحقّ إلا الضلال؟ وما المقصــود من حاقّ هذه العبارة، التي هي أتمّ الحُجج وأعظم البراهين بما لا يكون معه ريبٌ أو شك «فالدلالة على الذات لا تكون إلاّ بالذات» فهــل يُعقل التحدي أو النفي لغيره ممّن هو فــي «إذْ الخلائقُ بالغيب مكنونة، وبســتر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة» فتدبّر هذا فإنّه من أفنان شجرة طوبى وسدرة المنتهى.

وفي التوقيع الذي خرج على يد الشــيخ محمّد بن عثمان بن سعيد قال: ادعوا في كلّ يوم من أيام رجب بهذا الدعاء: «**بسم اللّه الرَّحْمن الرَّحيم، اَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ اَللّهُمَّ اِنّي اَسأَلُكَ بِمَعاني جَميـع ما يَدْعُوكَ بِهِ وُلاةُ اَمْرِكَ، اَلْمَأْمُونُونَ عَلى سِرِّكَ، اَلْمُسْتَبْشِـرُونَ بِأَمْـرِكَ، اَلْواصِفُـونَ لِقُدْرَتِـكَ اَلْمُعلِنُـونَ لِعَظَمَتِكَ، أَسـأَلُكَ بِما نَطَقَ فيهِـمْ مِـنْ مَشِـيَّتِكَ، فَجَعَلْتَهُمْ مَعـادِنَ لِكَلِماتِـكَ، وَأَرْكاناً لِتَوْحيدِكَ، وَآياتِـكَ وَمَقاماتِـكَ اَلَّتـي لا تَعْطيلَ لَها في كُلِّ مَـكان، يَعْرِفُكَ بِها مَنْ عَرَفَـكَ، لا فَـرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهـا إلاّ اَنَّهُمْ عِبادُكَ وَخَلْقُـكَ، فَتْقُها وَرَتْقُها بِيَدِكَ، بَدْؤُها مِنْكَ وَعَوْدُها إلَيكَ، أَعْضادٌ وَأَشْهادٌ وَمُناةٌ وَأَذْوادٌ وَحَفَظَةٌ**

عَلى مُحَمّد وآله، وأنْ تَزيدَني إيماناً وَتَثْبيتاً، يا باطناً في ظُهُوره وَظاهراً في بُطُونه وَمَكْنُونه، يا مُفَرّقاً بَيْنَ النُور وَالدَيْجُور، يا مَوْصُوفاً بغَيْر كُنْه، وَمَعْرُوفاً بغَيْر شبْه، حادّ، كُلّ مَحْدُود، وَشاهدَ كُلّ مَشْهُود، وَمُوجدَ كُلّ مَوْجُود، وَمُحْصيَ كُلّ مَعْدُود، وَفاقدَ كُلّ مَفْقُود، لَيْسَ دُونَكَ مِنْ مَعْبُود، أَهْلَ الْكبْرياء وَالْجُود، يا مَنْ لا يُكَيّفُ بكَيْف، وَلا يُؤَيّنُ بأَيْن، يا مُحْتَجباً عَنْ كُلّ عَيْن، يا دَيْمُومُ يا قَيُومُ وَعالمَ كُلّ مَعْلُوم، صَلّ عَلى مُحَمّد وآله، وَعَلى عبادكَ الْمُنْتَجبينَ، وَبَشَرك الْمُحْتَجبينَ، وَمَلائكَتكَ الْمُقَرّبينَ، وَأَنْبُهُم الصّافّينَ الْحافّينَ، وَبارك لَنا في شَهْرنا هذا الْمُرَجّب الْمُكَرّم وَما بَعْدَهُ منَ الأَشْهُر الْحُرُم، وَأَسْبغْ عَلَيْنا فيه النّعَمَ، وَأَجْزلْ لَنا فيه الْقسَمَ، وَأَبْرزْ لَنا فيه الْقَسَمَ باسْمكَ الأَعْظَم الأَجَلّ الأَكْرَم الّذي وَضَعْتَهُ عَلَيَ النّهار فَأَضاءَ، وَعَلى اللّيْل فَأَظْلَمَ، وَاغفرْ لَنا ما تَعْلَمُ منّا وَما لا نَعْلَمُ، وَاعْصمْنا منَ الذُنُوب خَيْرَ الْعصَم، وَاكْفنا كَوافيَ قَدَرك، وامنُنْ عَلَيْنا بحُسْن نَظَرك، وَلا تَكلْنا إلى غَيْرك، وَلا تَمْنَعْنا منْ خَيْرك وَبارك لَنا فيما كَتَبْتَهُ لَنا منْ أَعْمارنا، وأَصْلحْ لنا خَبيئَةَ أَسْررنا، وأَعْطنا منْكَ الأَمانَ، وَاسْتَعْملْنا بحُسْن الإيْمان، هذه العبائر واردة على لسان الحقّ الحجّة ابن الحسن صلوات الله عليه وعلى آبائه أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

فأين نحن من هذه الكلمات والكنوز الكافيات؟

تفصيل الأجـزاء المخْترَع، فيه تفصيل لأجزاء المختـرع، فمِنَ الكتاب تعرف عظمة المُخْتَرع وهذا الكتاب وضعه الصانع.

فالأمـر في مقام المُحدَث كذلك من وجـهٍ، وليس في ذلك تعطيل، فـلا أمان لمِعرفة الذات إلاّ الاثبات وكيف السـبيل؟ فإنا على سـبيل محمّـدٍ وآل محمّدٍ ﷺ: يا مَن دلّ على ذاته بذاته وتنزّه عن مجانسـة مخلوقاته، فلا يمكن أن تكون الذات محلاً للمقايسـة والمقارنة، نسأل اللّـه أن يجعلنا وإياكـم ممّن يدور مدار الحقّ، هـذا وصلّى اللّه على محمّدٍ وآل محمّدٍ، صلاة تامّةً عدد ما في علم اللّه ودوام ملكه، صلاة نَسْعدُ بها في السّعداء ونَصِيرُ بها في زمرة الشّهداء.

العاشر من ذي الحِجّةِ الحرام

عام ١٤٣٢هـ.ق

## الفهرس


| الموضـــوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| - كلمة المُعِـــدّ | ٥ |
| - نُبذةٌ عن الشّيخ الدكتور عبدالكريم العُقيلي | ٧ |
| - مقدّمة سماحة الشّيخ الدكتور عبدالكريم العُقيلي | ١٠ |
| ■ **المحاضرة الأولى** | ١٣ |
| - تمويه وتنوير. | ١٧ |
| - مناقشة أنّ الوحدة الحقّة الحقيقية عين الذات. | |
| - التناقض البيّن في نفي معرفة كُنْهِ الذات، وفي وصفها والحديث عنها. | |
| - نظرية السّـيد الطباطبائي في تفسير الميزان في تنزيه الذات عن الاسم والصفات. | |
| ■ **المحاضرة الثانية** | ٢٦ |
| - رأي مشهور الفلاسفة في عدد الصفات الذاتية. | |
| - مناقشةُ السّيد الطباطبائي المشهورَ في صفتي الكلام والإرادة. | |
| - التحليـل العقلـي عند السـيد الطباطبائـي لصفتي السـمع والبصر الذاتيتين. | |
| - الـردّ على مُدّعى السـيّد الحيدري من إتفاق كلمـة العلماء على عينية الصفات. | |
| - المكاتبات بين العَلَمين السَّيد الكربلائي والشيخ الكمباني ونتائجها. | |
| - ردّ قاطع على تناقضات ما ذكره السيّد من عينيّة الصفات للذات. | |
| - تراجم هامّة في حواشي المتون لكلّ من القاضي القمي، والشيخ الكمباني، والسيد الكربلائي، والشيخ العطّار النيشابوري. | |
| ■ **المحاضرة الثالثة** | ٧٣ |
| - مناقشةٌ موضوعيةٌ لقول السيّد، بأنّ الذات مملوءة بالكمالات. | |
| - حقيقة نظرية المُلاّ صدرا «بسـيط الحقيقة كلّ الأشـياء، وليس بشـيء | |

| الموضـــوع | رقم الصفحة |
| --- | --- |
| - كلمات قُدسـيّة للشّـيخ الوحيد الخراسـاني دام ظلّه العالي «كلمة من كلماتهم عليهم السلام تذري مليار عقل كعقل ابن سينا...». | |
| - سرّ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ والمعنى الدقيق للأسماء. | |
| - تصريح السيّد بأنَّ الاسم الأعظم هو عين الذات، والردّ عليه. | |
| ■ المحاضرة الرابعة | ٩١ |
| - بيانٌ روائيّ تفصيليّ لحقيقة «الأسماءُ الحسنى». | |
| - تحليلٌ دقيقٌ للرّوايات الدالّة على الحمل الحقيقي لقول المعصوم عليه السلام. | |
| - نقل روايتين من غُرر الروايات سَمْكاً وأشدّها عُمْقاً. | |
| - فَذْلكةُ المطلب في صحيحة هِشام، وسرّ السُّؤال عن اشتقاق الأسماء. | |
| ■ المحاضرة الخامسة | ١٠١ |
| - تحقيقٌ رائعٌ لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. | |
| - الردّ القاطع على مُدّعى السّيد الحيدري في أنّ الآية معناها «ليس كمثل ذاته شيءٌ». | |
| - بحثٌ تحقيقيٌّ في «الكاف» في قوله تعالى ﴿كَمِثْلِهِۦ﴾. | |
| - عَرْضٌ للآيات القرآنية التي تشير إلى المِثْل، وما يتمخّض منها. | |
| ■ المحاضرة السادسة | ١١٣ |
| - الردّ العلمي والنّقْضُ البرهانيّ على نظر تفسير الأمثل في تبنيّه المعرفة الإجمالية للذات. | |
| - أسـرجةٌ مضيئةٌ في بيان استحالةِ المقابلة بين الذّات وبين ما سواها من الممكنات على الإطلاق. | |
| - حقيقـةُ المِثْل في الآيـة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ في السـرّ المصون في الزّيارة الجامعة الكبيرة. | |
| - الذّات لا دلالة عليها إلاّ الذات «يا مَن دلّ على ذاته بذاته». | |